الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
- شعبة التاريخ -

العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع إسبانيا و الجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي (986-1012هـ/1578-1603م)

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: بقع فتيحة
إشراف الدكتور: إبراهيم سعيود
المشرف المساعد: جلول بن قومار

لجنة المناقشة :

أ.د/ صالح بوساليم ..... رئيسا

د./ إبراهيم سعيود ..... مشرفا ومقررا

أ/ جلول بن قومار ..... مشرفا مساعدا

أ/ يمينة بن الصغير ..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1433- 1434 هـ / 2012 - 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمان: الآية 14.

أهدي :

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله.

إلى من كان لي سندا طوال انجازي هذا

العمل،إخوتي أدامهم الله لي عونا.

أهدي هذا العمل

بقع

يقول الله تعالى :«و إنْ تشكروا يَرضَهُ لكم »

سورة الزمر:الآية 07

و من لم يشكر الناس لم يشكر الله فائق الشكر

أتقدم بالشكر الجزيل بادئ الأمر إلى الله عز و جل على توفيقه لي في انجاح هذا العمل المتواضع.

ثم أتوجه بالشكر إلى أستاذيّ المشرف:"**إبراهيم سعيود**"، والمشرف المساعد "**جلول بن قومار**" اللذان ساعدان في إعداد هذا الموضوع، كما أتوجه بالشكر والامتنان لكافة الأساتذة الذين درسوني في مرحلة الليسانس والماستر، فاجعل اللهم ذلك في ميزان حسناتهم.

(آمين)

قائمة المختصرات الواردة في الدراسة

الرمز	المعنى
د ت	دون تاريخ
د ص	دون رقم صفحة
ط	طبعة
د ط	دون رقم طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متعددة
ج	جزء
P	Page
T	Tome

المقدمـــــــة

مقدمة:

كان للوضع العام في المغرب الأقصى خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. دور كبير في رسم خريطة العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع البلدين المجاورين، إسبانيا والجزائر، فارتبطت هذه العلاقات بأوضاع هذه البلدان، وبتأثر القوى الكبرى عليهافي هذه الفترة.

وفي أواخر القرن 16م، تطورت علاقات المغرب مع هذين البلدين، وبالتحديد منذ سنة 1578م، التي تولى فيها أحمد المنصور السعدي عرش المغرب، الذي اتخذت في عهده العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع إسبانيا و الجزائر نوعا آخر يختلف عما كان عليه في الفترة السابقة.

- **دوافع اختيار الموضوع:**

اخترت الموضوع لعاملين :

1. عامل موضوعي :

– أنه في هذه الفترة بالذات تطورت علاقات المغرب الأقصى السياسية مع البلدين بعدما قويت شوكته، وازدادت هيبته لدى الدول الكبرى بعد معركة وادي المخازن. وأخذت العلاقات مجرى آخر غير المجرى الذي كانت تسير عليه في الفترة السابقة.

– أن علاقة المغرب مع الجزائر، هي في الواقع علاقات بين المغرب، والدولة العثمانية التي كانت تسعى لضم المغرب تحت خلافتها، وكان حكام الجزائر في هذه الفترة ينفذون رغبة السلطان العثماني.

– أن علاقة المغرب مع إسبانيا، هي علاقة دولة إسلامية مع أخرى مسيحية،تسعى هذه الأخيرة لتمسيح حوض المتوسط، والقضاء على المسلمين فيه.

فكيف تكون هذه العلاقات؟

2. عامل ذاتي:

– رغبتي في الاطلاع على هذا النوع من العلاقات، وخاصة إن كانت مع دول متنافسة.

– رغبتي في المساهمة بالكتابة، في هذا الموضوع،لأن الدراسات عنه في الجامعة قليلة.

– وفرة المصادر، و المراجع التي تتناول العلاقات، مما زادني إصرارا في المضي في هذا البحث ، بعد أن كان مجرد عرض في السنة الأولى من الماستر، فأردت بذلك إثراء معارفي العلمية عنه.

– الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

أما الإطار الزماني للبحث فقد حددته من 986 هـ/1578 م و هو تاريخ تربع السلطان أحمد المنصور السعدي على عرش المغرب إلى 1012 هـ/1603م تاريخ وفاته وإن كنت قد رجعت قليلا إلى الفترة السابقة فيما يخص طابع العلاقات السياسية فيها ليتمكن الباحث من فهم الإطار الواسع لعلاقات المغرب مع إسبانيا و الجزائر.

– إشكالية الدراسة :

احتوى موضوع هذه الدراسة على ثلاثة أسئلة جوهرية، تمثل إشكالية البحث وهي:

كيف كانت الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى، الجزائر، إسبانيا قبل 1578م؟

وبما تميزت العلاقات السياسية للمغرب مع إسبانيا، والجزائر في العقود السابقة لعهد أحمد المنصور السعدي؟ وأخيرا ما هي السمات والمراحل التي انطبعت على العلاقات السياسية للمغرب مع البلدين في عهد أحمد المنصور السعدي ؟

– الدراسات السابقة:

إن موضوعا مُهِمًّا كموضوع العلاقات السياسية للمغرب الأقصى قد جذب اهتمام المؤرخين، الباحثين، الأقدمين منهم، والمحدثين فنشروا فيها كتبا ومقالات، أثروها بالدراسة، والتوثيق....

أذكر منهم على سبيل المثال الدكتور عمار بن خروف في كتابة "العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي"، والأستاذ عبد الهادي التازي في كتابه "التاريخ الدبلوماسي للمغرب".

ومن ثمة فقد تمكن هذه الدراسات الباحث من إعداد رسالة موثقة توضح له طبيعة العلاقات و التوسع فيها.

_المنهج المتبع:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهجين، التاريخي، والوصفي التحليلي، وظفت الأول في تتبع مراحل هذه العلاقات، بينما استعنت بالثاني في تحليل أبعادها، وكذا في وصف الأوضاع، لأتمكن من الإجابة عن الأسئلة التي طرحتها عن الموضوع.

_الخطة المعتمدة:

وقد رئي من المناسب معالجة موضوع العلاقات السياسية للمغرب مع إسبانيا، والجزائر في أربعة فصول، ولأنه من الضروري قبل البحث في صميم العلاقات السياسية، معرفة الأوضاع السياسية الداخلية التي تحيط بهذه البلدان، فقد خصصت الفصل الأول لذلك، أما الفصل الثاني، فقد ضمنته الحديث عن معركة وادي المخازن في 4 أوت 1578، التي كان من نتائجها وصول أحمد المنصور إلى سدة الحكم في المغرب، وتميزت العلاقات في عهده بسمات مختلفة، فمالت إلى السلم أحيانا، وأحيانا إلى الصراع والتوتر مع البلدين إسبانيا والجزائر، وتناولت في الفصلين الثالث، والرابع، الحديث عن علاقات المغرب الأقصى مع إسبانيا، والجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي.

وختمت الموضوع بخاتمة، اشتملت على أبرز النتائج التي خلصت إليها في البحث وألحقت بالخاتمة ملاحق خاصة، تحوي رسائل تبين طبيعة العلاقات، ثم قائمة شملت المصادر والمراجع المعتمدة، والفهارس.

_التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر، ومراجع، ومقالات كثيرة، وفيما يلي استعراض لأهمها:

المصادر المعربة:

_وصف إفريقيا: للحسن بن محمد الوزان الزياني، عربه عبد الرحمن حميدة، يعد أحد المصادر التاريخية، والجغرافية المهمة في القرن العاشر الهجري، السادس العشر الميلادي أفادني الكتاب في التعرف على أوضاع المغرب الأقصى في أوائل القرن العاشر الهجري/السادس العشر الميلادي.

_تاريخ الشرفاء لدييقوطوريس: عربه محمد حجي ومحمد الأخضر، وهو مؤرخ إسباني، ولد حوالي 1526، ورغم أني لم أرجع إليه كثيرا، إلا أنني استفدت منه فيما يخص نشاط السعديين السياسي

_المصادرالعربية:

- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء: لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، يؤرخ هذا الكتاب للدولة السعدية حتى أواخر عهد المنصور، ويمكن أن يعتبر من كتب التاريخ الرسمي للدولة السعدية، بحكم علاقة مؤلفه بتلك الدولة، ولاسيما السلطان أحمد المنصور، الذي اتخذه من كتابه المقربين.

- تاريخ الدولة السعدية التاكمدراتية: لمؤلف مجهول، نشره جورج كولان سنة 1944. وقدمه مع التحقيق، عبد الرحمن بنحادة سنة 1944، سلك فيه صاحبه سلوكا مناقضا للفشتالي، حيث كان صاحبه مهتما بذكر مساوئ السعديين، مما جعلني آخذ منه كما أخذت من الفشتالي بحذر.
- تراجم الأعيان من أبناء الزمان: للحسن بن محمد البوريني، حققه صلاح الدين المنجد، ترجم لأعيان عصره، ومنهم أحمد المنصور، فأخذت عنه شذرات في علاقة المنصور بالعثمانيين.

_المراجع العربية:

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي: لمحمد الصغير الوفراني المراكشي،المتوفى سنة 1140هـ/1728م، يعتبر أكمل كتاب عن الدولة السعدية، وأوفاها، وأكثرها موضوعية في تناول تاريخ الدولة السعدية، وفي علاقات المنصور الخارجية لذلك، فقد اعتمدت عليه في ذلك.

العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي: لأستاذنا الفاضل عمار بن خروف حفظه الله، وأدامه ذخرا للطلبة، تناول الكتاب العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن المذكور،كما لم ينس المؤلف الحديثعن أوضاع البلدين في تلك الفترة، زودني الكتاب بمعلومات كثيرة عن الموضوع. كما ساعدني في رسم خطة الموضوع رسما دقيقا، فجزى الله مؤلفه عني كل خير.

التاريخ الدبلوماسي للمغرب: لعبد الهادي التازي، في عشر مجلدات، وقد اكتفيت في الدراسة بالمجلد الثامن المخصص لعلاقات السعديين، فتناول فيه صاحبه سياسة الحكام السعديين الخارجية، سواء مع الأتراك العثمانيين في الجزائر، أوفي الأستانة، وكذا مع الدول الأوروبية، التي منها إسبانيا موضوع الدراسة.

المصادر والمراجع الأجنبية :

_Henry de castriesK ,(source inédites de L'histoire du maroc) :

لهنري دوكاستري، نشر دوكاستري المجلد الأول في سنة 1905، وبلغ عدد المجلدات التي نشرها حتى تاريخ وفاته سنة1927، ثلاثة عشر مجلدا، وقد رجعت إلى الكتاب، في جزئه الثاني، والثالث المتعلقان بتاريخ الأسرة السعدية.

Haedo(f .diego de) :histoire des rois d 'Alger ,trade .franchise de h .DeGrammont ,Alger 1881.

تاريخ ملوك الجزائر لهايدو، الذي قام بترجمته إلى الفرنسية المؤرخ هنري دوغرامون Henri de DeGrammont في جزء واحد، تناول فيه المؤلف تاريخ الجزائر من خلال تراجم حكامه في القرن السادس عشر الميلادي، وقد أخذت عن المؤلف فيما يفيدني في العلاقات.كما استفدت من مراجع عديدة ومقالات سأعرضها مرتبة في قائمة المصادر والمراجع في آخر هذه الدراسة.

_الصعوبات المعترضة:

لكل باحث صعوبات تعتريه أثناء انجاز البحث، وكانت أولى الصعوبات التي واجهتني صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع، التي قد تفيدني في الموضوع وذلك لسببين لأنها أجنبية صعب التعرف عليها، وإما لعدم وجود متسع للوقت للبحث عنها.

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر كل من وقف بجانبي لانجاز هذا العمل، وأخص بالذكر منهم:

أستاذي المشرف الدكتور إبراهيم سعيود، الذي لم يبخل في نصحي، وإرشادي وبلغني بكل ما يستلزم البحث منهجية،كما سهر على تصحيح المذكرة.

أستاذي المشرف المساعد بن قومار جلول، الذي كان لي دفعا قويا لاختيار الموضوع، ولم يبخل عن المساعدة، والتوجيه، فجزاهما الله كل خير.

وأملي في الأخير أن يكون هذا البحث قد ساهم في توضيح جوانب كثيرة عن الموضوع. والله المستعان.

غرداية في 2013/05/23م.

الموافق ل 13 رجب 1434هـ.

الطالبة، فتيحة بقع.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى ، الجزائر وإسبانيا قبل 1578م.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في المغرب.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الجزائر.

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية في إسبانيا.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى:

تميز القرن 9 هـ / 15 م بسوء الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى وتجلت مظاهرها فيما يلي:

- ✓ التفكك والتجزئة.
- ✓ الغزو الأيبيري.
- ✓ نشاط القوى الدينية.
- ✓ التمهيد العثماني.
- ✓ نهاية الوطاسيين وقيام السعديين.
- ✓ جهود السعديين في توحيد المغرب.

أولا: التفكك والتجزئة:

بعدما آل الحكم للوطاسيين [1] في المغرب الأقصى في الربع الأخير من القرن 9هـ/15م، وجدوا أنفسهم أمام سلطة محدودة في فاس، وإمكانيات ضعيفة عجزوا من خلالها عن حفظ الأمن والإستقرار في البلاد، فتجزأ المغرب الأقصى إلى وحدات سياسيةوظهرت كيانات سياسية وإمارات شبه مستقلة انضوت بعضها تحت حماية البرتغاليين. [2]

ومن هذه الإمارات شبه مستقلة، والوحدات السياسية نذكر:

- ✓ عائلة العروسي في القصر الكبير :

ظلت مدينة القصر الكبير خاضعة لسلطة عائلة العروسي وكانت سوقا لجلب البضائع إليها من مختلف الجهات أشهر أبنائها القائد "أحمد" المعروف بجهاده ضد البرتغاليين.[3]

(1)فرع صغير من بني مرين ينتمي إلى قبيلة زناتة الأمازغية، تولو مهام عليا في السلطنة في دولة المرينيين.

(2)عبد الكريم كريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، جامعة محمد الخامس، الرباط ، المغرب ، 1978 ص16.

(3)نفسه، ص16.

✓إمارة بني راشد في شفشاون :

تعتبر شفشاون[1] من أبرز الثغور القريبة من مراكز الإحتلال اتخدها علي بن راشد[2]قاعدة قوية للجهاد ضدالبرتغاليين. [3]

✓إمارة بني المنظري في تطوان:

تولى أمر هذه المدينة عائلة أندلسية هي أسرة المنظور توراث أبناءها الحكم في تطوانوعرفوا بجهادهم ضد المحتل[4].

✓إمارة بني هنتاتة بمراكش:

استولى أمراء قبيلة هنتاتة[5]المصمودية على الحكم في الجنوب، واتسع نفوذهمحتى وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي. [6]

ومما سبق يمكن القول: أن سوء الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي نتج عنه ضعف وانقسام للوحدات السياسية المتناحرة وتلاشي الدولة الوطاسية.

---

(1) كان ابتداء اختطاطها في الجهة المعروفة عندهم بالعدوة، وهي عدوة وادي شفشاون في حدود سنة 876هـ، أنظر: أبو حامد محمد العربي الفهري: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن، د ت، ص 211.

(2)شخصية مغربية جاهدت الاحتلال البرتغالي في الشمال. أنظر عبد الكريم كريم، ص16.

(3)مارمول لويس كاربخال: **إفريقيا**، ج3، تعريب محمد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط 1988/1989، ج2، ص149.

(4) جلول بن قومار: **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوربا البرتغال– إسبانيا– فرنسا (986 هـ–1578م/1012 م–1603م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011، ص12.

(5) تنتسب إلى أبي حفص رئيس قبيلة المصمودية، أحفاده ولاة في تونس من قبل الموحدين، استقلوا بالحكم في عهد أبي زكرياء يحي(625- 649هـ/ 1228- 1251م) أنظر: أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان 1971م، ج7، ص 275.

(6) الحسن بن محمد الوزان : **وصف إفريقيا**، ج2، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، د، ت، ج1، ص154.

ثانيا: الغزو الإيبيري:

ومنذ بداية القرن 9 هـ / 15 م أخذ الإيبيريون [1] يتطلعون لغزو المغرب وازدادت أطماعهم في توسيع نفوذهم نحو السواحل الغربية نتيجة للأوضاع المتردية التي آلت إليها غمارة الوطاسيين من تفكك، ونزاع بين الوحدات السياسية، وانتشار للفوضى والاضطرابات.[2]

وكان للعامل الديني دور كبير في تعبئة الشعب الأوروبي، وتذكيره بماضي الحروب الصليبية، ومنه الخطاب الذي أرسله"يوحنا الأول"إلى البابا (نيقولا الخامس)(1455/1447م)جاء فيه.[3]

"....إن سروري عظيم أن نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال قد سار على خطى ابيه الملك جون، بوصفه جنديا قادرا من جنود المسيح، ليقضي على أعداء الله وأعداء المسيح من المسلمين الكفرة".[4] إضافة للعامل الإقتصادي المتمثل في الثورة الإقتصادية التي كانت تعيشها أوروبا على إثر الكشوف الجغرافية.[5]

وقد بدأت أولى عمليات الغزو الإيبيري للسواحل المغربية منذ أوائل القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ميلادي بتدمير الإسبانيين لمدينة تطوان في سنة 803 هـ/1400م، واحتلال البرتغاليين لمدينة سبتة يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخر 818 هـ /02 أوت 1415م.[6] ليبلغ الغزو ذروته في العقدين الأولين من القرن 16م/10 هـ، حيث قام الإسبان الإسبان باحتلال غساسة في سنة 1504م، واحتلو قبل ذلك مدينة مليلة في سنة 1497م، ثم احتلوا حجر بادس في سنة 1508 وكلها تقع على المتوسط.

---

(1)الإيبيريون:الإيبيريون هم السكان الأصليون لشبه الجزيرة الإيبيرية التي سميت باسمهم حسب كثير من المصادر المكتوبة ولا تعرف أصولهم بالتحديد ولكن يغلب الظن على أنهم ليسوا من الشعوب الهندوسية الإيبيرية. هاجر السلت لاحقا إلى شبه الجزيرة واختلطوا بالسكان الأصليين.

(2) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص5.

(3) عبد العزيز نوار ومحمد جمال الدين: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى** دار الفكر، دمشق، 1999، ج1، ص59.

(4) جلول بن قومار: المرجع السابق، ص16.

(5) عمار بن خروف: **العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر، 2008.

(6) بن قومار جلول : المرجع السابق، ص14.

واحتل البرتغاليون بعد إتفاقية طورديسيلاس[1] مدينة ماسا في سنة 899هـ/1497م،ثم موقع مازاكان في سنة 1502، فأغادير في سنة 1505م وموكادور سنة 1506م، وآسفي في سنة 1508، وآزمور في سنة 1513م.

وتطلعوا في سنة 1515 إلىاحتلال مدينة مراكش ولكن حملتهم عليها باءت بالفشل، كما باءت بالفشل حملتهم لاحتلال موقع المعمورة المنفذ البحري لمدينة فاسفي السنة نفسها.[2]

ومما سبق يمكن القول: أن الغزو الإيبيري للمغرب الأقصى كان نتيجة الأوضاع السائدة في المغرب الأقصى والبلاد الأوروبية .

ثالثا: نشاط القوى الدينية:

تميز المغرب الأقصى منذ بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بظهور حركات صوفية وطرق، كان لنشاطها الأثر البالغ في تأليب الأوضاع السياسية.[3]بدأت هذه الطرق نشاطها مع أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م)، وانتشرت مع الشيخ الجزولي (ت869هـ/1465م).[4]

وتعددت الأربطة والزوايا وانتشر تعظيم الصلحاء الذين كسبوا ود العامة والسادة فقوي نفوذهم، وتدخلوا في القضايا السياسية بمراقبة السلطة وتوجيهها أو تعويضها وتسوية الخلافات بينها وبين العامة.[5]

وفي ذلك يذكر الوزان: "...أنه يوجد من بينهم عدد من علماء الشريعة الاسلامية لهم طلاب كثيرون يلحقون أكبر الضرر بهذه الجبال لاسيما في الأماكن التي يستقبلون فيها

(1)طورديسلاس: انعقدت هذه المعاهدة في سنة 1505، بتدخل البابا ألكسندر 6، بعد وفاة الملكة إيزابال، أومت بضرورة الاستمرار في ملاحقة المسلمين، و احتلال سواحل شمال إفريقيا.

(2) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر الميلادي**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م، ج1، ص46.

(3) نفسه، ص14.

(4) طريقة صوفية متفرعة عن الطريقة الشاذلية أسسها محمد بن سليمان الجزولي، الذي توفي مسموما عام 870هـ/ 1466م. أنظر بن قومار جلول: المرجع السابق، ص18.

(5) نفسه، ص18.

بالترحاب، ولا تفرض عليهم ضرائب ثقيلة، لأنهم ينفقون على الفقراء والطلبة...." وكان يقصد بالجبال منطقة جبل "بني مسكنة".[1]

ولم تقتصر جهود الصلحاء والمتصوفين وأتباعهم على قضاء مصالح دنيوية، بل منهم من كان يدعو للجهاد ضد الخطر المسيحي الذي كان يهدد البلاد، ورغم انعدام سلطة حكومية ذات كفاءة غى أنهم عملوا على تكوين خلايا جهادية كحركة بني راشد وزوايا سوس، وإعداد دولة قوية تولت أمرها الطريقة الجزولية.[2]

رابعا: نهاية الوطاسيين وبداية أمر السعديين:

السعديون من أسرة عربية قدموا من ينبع بالحجاز إلى درعة بجنوب المغرب واستوطنوا هناك.اختلف في أصلهم ، وعلى ما نقل عن المقري[3] أن نسب السعديين من بني سعد بن بكر بن هوزان، قوم حليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه تراجع عن قوله وصرح بنسبهم الشريف على ما كان باعتقاد المغاربة، ويرجع نسب السعديين أيضا إلى ذرية الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وأيا ما كان فإن السعديين ظلوا يعيشون حياة بسيطة حتى مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ولم يبرزوا على الساحة السياسية إلا بعد أن استفحل نفوذ البرتغاليين على الشاطئ المغربي، وعجز الوطاسيون عن مقاومتهم.[4] لانشغالهم بالدفاع عن الشمال.

واستنجد أهل الجنوب بعميد الأسرة السعدية "أبو عبد الله محمد"[5] لقيادة صفوفهم ضد البرتغاليين، وكانوا قد وجههم إليه ابن المبارك مرابط آقة الكبير بعد أن رفض تولي المهمة.

---

(1) الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ص339.

(2) جلول بن قومار:المرجع السابق، ص18.

(3)الحسن السائح: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1986ص289.

(4)عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص50.

(5) هو السلطان السعدي "محمد بن عبد الرحمن" عميد الدولة السعدية ومؤسسها، بويع أميرا سنة 915هـ/1516م، توفي سنة 923هـ بأفوغال ودفن بمراكش. أنظر إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر (ق14هو 65م) من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين**، ج3، ط1، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، 1978، ج2، ص275.

تولى "أبو عبد الله" محمد المهمة بعد مشاورات، واتصالات بينه وبين ابن المباركوبين قومه، وفقهاء السوس وأعيانه في سنة 915هـ/1509م.

وتمت مبايعة"أبو عبد الله"، وقدمت له كل قبيلة بايعته عشرة من رجالها المقاتلين. فبلغ المجموع (500) رجل، وهي التي مثلت نواة الجيش السعدي.[1]

وبعد مبايعة أبي عبد الله أعلن حملة على البرتغاليين في مرسى تفتنت وتمكن من جلائهم عنه سنة 916هـ/1510م، لكن النزاع الذي دب بينه وبين بعض القادة في تدسي جعلته يتوقف عن قيادة أعمال الجهاد، لكنه عاد إلى تدسي في سنة 918هـ/1512م بعدما زال غضبه.[2]

وطلب من أهلها مبايعة ابنه الأكبر أحمد الأعرج بالإمارة، فكان له ذلك.

واستجابة لطلب أهل تدنست بمقاطعة حاحة الذين أضربهم البرتغاليون انتقل أبو عبد الله مع ولده المذكور إلى هناك، وبقي محمد الشيخ بالسوس يوسع نفوذه فيها، واتخذ مدينة تارودانت قاعدة له بعدما دخلت في طاعته سنة 922هـ/1516م.

وبعد وفاة "القائم بأمرالله السعدي" في سنة 923هـ/1517م، انتقل حكم إقليم السوس من بعده إلى وليه أحمد الأعرج، ومحمد الشيخ اللذين واصلا الجهاد ضد البرتغاليينوالموالين لهم من المغاربة،[3] وبمقتل يحي بن تافونت[4] في سنة 1518م/924هـ، فقد البرتغاليون بطلا مغربيا كان يخدمهم بوفاء،[5] فتمكن السعديون من استعادة مناطق في السواحل كآسفي في سنة 937هـ/1530م، ومراكش في سنة 934هـ/1527م.[6]

(1)عمار بن خروف: المرجع السابق، ص50.

(2)عمار بن خروف:المرجع السابق ، ص51.

(3)نفسه، ص51.

(4) عميل للبرتغاليين بناحية آسفي، قدم لهم خدمات جليلة، أنظر عنه مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2 ص11.

(5) ديبقودي طوريس: **تاريخ الشرفاء**، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، د ت، ص51.

(6)جلول بن قومار: المرجع السابق، ص21.

وقد شجع هذا الانتصار محمد الشيخ على التفكير في الإطاحة بالأسرة الوطاسية. حيث تم القضاء عليها من خلال:

✓ القضاء الأول على الحكم الوطاسي في فاس 956هـ/1549م:

بعد الصدام الذي كان بين "محمد الشيخ السعدي"و "أحمد الوطاسي" في معركة درنة في رجب 952هـ/1545م التي أسفرت عن أسر السلطان[1] الوطاسي، وابنه "أبي بكر"، والسيطرة على مقاطعة تادلا، وأوشك "محمد الشيخ" نحو الدخول إلى فاس، لكنه فشل أمام المقاومة الشديدة التي أبداها الفاسيون، وأجبر على مكاتبتهم بإطلاق سراح السلطان الوطاسي مقابل تسليم مدينة مكناسة له، إلا أنهم رفضوا في وقت التجأ فيه "أبو حمو الوطاسي" للجزائر بطلب العون.[2]

✓ القضاء النهائي على الأسرة الوطاسية 961 هـ/1554 م:

أمام الحملة التي قام بها "محمد الشيخ" على تلمسان، عمل حكام الجزائر على دعم "أبي حسون" عسكريا، وبجلاء القوات التركية عن فاس، شن "محمد الشيخ" معركة ضد الجيش الوطاسي بقيادة "أبي حسون" قرب مكان يسمى رأس الماء، وبمقتل "أبي حسون" تمكن السعديون من الدخول إلى فاس في 24 شوال 916 هـ/1554/09/22 م .[3]

وبعد الانتصارات التي حققها السعديون في المغرب استطاعوا القضاء على أطماع العثمانيين في ضم المغرب واستغلال خيراتها الذين تأكدوا من خطر القوة الإيبيرية ودعمها للمغرب الأقصى ضد أي محاولة للعثمانيين في ذلك. [4]

(1) دييقوطوريس: المصدر السابق، ص103.

(2)نفسه، ص103.

(3) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق،ص58.

(4) المجهول:**تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط1، دار تنمل للطباعة والنشر مراكش 1994، ص24.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في الجزائر:

لم تكن أوضاع الجزائر السياسية أواخر القرن 9هـ/15 م و إلى ما قبل 1578، تختلف عن أوضاع جيرانها في المغرب الأقصى وتونس، فقد تميزت هي الأخرى بسوء الأوضاع، وتدهورها في هذه الفترة، و أبرز ملامحها:

* التفكك و التجزؤ .
* الغزو الإسباني.
* جهود الإخوة عروج و خير الدين في تحرير السواحل الجزائرية.
* انضمام الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية و جهود اليابلربايات الأوائل.

أولا : التفكك والتجزئة

تأزمت الأوضاع السياسية أواخر عهد الزيانيين[1]، حيث ضعفت دولة بني زيان وانقسمت على نفسها إلى إمارات صغيرة مفككة متناحرة يسودها التنافس، والصراع على الحكم[2]، فأغلب المدن الساحلية كوهران، وتنس،و شرشال... وغيرها، كانت في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي إما تحت حكم زياني منشق عن الدولة الزيانية،"كأبي يحي بن محمد الزياني" في تنس، أوعن الدولة الحفصية"كعبد الرحمن الحفصي" في بجاية،أو تحت حكم مجلس منتخب من سكان المدينة،كوهران، أو شيخ قبيلة"كسالم التومي"،شيخ قبيلة الثعالبة في مدينة بجاية.

أما المناطق الجبلية،فاستقلت بذاتها، وكونت إمارات ذات أصل ديني[3] مرابطي، أو شريفي، من أهمها: إمارة بني عباس في جبال القبائل جنوب بجاية، و إمارة كوكو الواقعة إلى الغرب من الإمارة الأولى في الجبال نفسها،وحكمت القبائل في المناطق السهلية كبني عامر في القطاع الوهراني، و الذواودة في القطاع القسنطيني.[4]

ثانيا: الغزو الإسباني :

(1) محمد كمال شبانة : **الدويلات الإسلامية في المغرب دراسة تاريخية حضارية**، ط1، دار العالم العربي لاظوغاي،القاهرة، 2008، ص123.

(2) يحي بوعزيز:**الموجز في تاريخ الجزائر**،2ج، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون،الجزائر، 2009 ص8.

(3) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص16.

(4) نفسه، ص17.

خلال القرن 9هـ/15 م، اختل التوازن بين قوى جنوب غرب أوربا،وشمال إفريقيا، وأنهكت شعوب الجزائر، وبلدان المغرب الأخرى بالحروب الداخلية والخارجية فتكالبت المملكة الإسبانية على السواحل الجزائرية، ودفعها إلى ذلك أسباب عديدة منها:

– الحقد الديني والسياسي، و رغبة الإسبان في نشر المسيحية، ومقومات الإسلام في عقر داره.

– رغبة الإسبان في وضع حد لنشاط مسلمي الأندلس المطرودين، ومنع بلدان المغرب من تقديم العون والمساعدة.

– احتلال مواقع إستراتيجية بصفة دائمة، واتخاذها منطلقا للتوسع الاستعماري.[1]

وكل هذه الأسباب والظروف جعلت الإسبانيين يتمكنون خلال فترة وجيزة 911-942 هـ/ 1505-1535ممن احتلال المرسى الكبير(911هـ/1505م) ثم وهران في سنة 914هـ/1509م،واحتلوا بجاية915هـ/1510مبعد أن فتكوا بأهلها وخربوا منشآتها العمرانية[2]،وهددوا مدينة الجزائر تهديدا مباشرا بعد اعلانهم حملة على تونس.[3]

ثالثا: جهود الإخوة عروج و خير الدين في تحرير السواحل الجزائرية:

بعدما استفحل الغزو الإسباني في الشواطيء الجزائرية،وشاعت أخبار "خير الدين"و"عروج"،وملأت أقطار المغرب العربي،حيث أصبحا قوة إسلامية عظيمة تتجه نحوها أنظار المجاهدين في بجاية،وحواليها،وفي جبال القبائل،الذين استنجدوا بالأخوين لمساعدتهم على الخلاص من براثن الإستعمار الصليبي.[4]

*** الحملة على بجاية :**

لبى الأخوان نداء الجزائريين،وانطلقت محاولات "عروج" بدءا من سنة 918 هـ/1512م،في تحرير بجاية،حيث جمع"عروج" و"خير الدين" رجالهما، وأعلما جماعات المجاهدين حول بجاية،بالالتقاء في ساحة الجهاد عند أسوارها.

وكان على رأس المجاهدين 3000رجل، وشملت العمارة التركية خمس سفن محملة بالسلاح، والمدافع،والرجال،وبلغت القوة الإسبانية خمسة عشر سفينة.

---

(1) يحي بوعزيز:**مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية** ، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون،الجزائر، د ت، ط، ص43.

(2) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص16.

(3) أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**،د ط، دار البصائر، الجزائر2008، ص65.

(4) أحمد توفيق المدني:**حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492–1792**، وثائق ودراسات، د ط، الجزائر، د ت ط، ص164.

اعترضت القوات الإسبانية طريق المسلمين، فلم يكن بمقدورهم مهاجمتها للتفوق العددي، لذلك فشلت الحملة، وفقد عروج ذراعه.[1]

ورغم خيبة القائدين، إلا أنهما كسبا ثقة قبائل الجبليين للشجاعة والتي تحلوا بها والثبات.

* **الهجوم على بلدة جيجل:**

في سنة 920هـ/1514م،أعلن "عروج" الهجوم على جيجل، وتمكن من القضاء على الحصن الذي بناه الجنويون بعد استيلائهم على البلدة.

اتخذ عروج جيجل قاعدة عسكرية له، ينطلق منها في هجومه ضد الإسبان، كما عاود"عروج" حملته على بجاية في سنة 921هـ/1515م،لكنها لم تكلل بالنجاح.

ولم يلبث "عروج" في مدينة جيجل، حتى استدعاه أهالي مدينة الجزائر لينقذهم من شر الإسبان، فاستجاب لطلبهم في سنة 1516.[2]

و أعد هجوما على الحصن الإسباني المتاخم للمدينة، وأمام قوة الإسبان أخفق في تحريره.

وسرعانما توترت العلاقات بين أمير مدينة الجزائر"سالم التومي"و"عروج"،فقتله"عروج" وأعلن نفسه حاكما على مدينة الجزائر بعد أن استمال أهالي البلدة وأعيانهم بالهدايا و غيرها.

إزاء الوضع الجديد، جهز الإسبان حملة بقيادة دييقودوفيرا للقضاء على خطر"عروج" وإعادة الإمارة "لابن سالم التومي"، لكنهم فشلوا أمام خطط"عروج".

* **هجوم عروج في ضم تنس و تلمسان:**

شجع هذا الإنتصار "عروج" على مواصلة جهوده في ضم تنس، وتلمسان. والقضاء على الموالين للإسبان، فاستخلف أخاه "خير الدين" على مدينة الجزائر، واتجه نحو تنس للقضاء على سلطة "حميدة العبد" الذي لاذ بالفرار إلى أقصى الجنوب، بعد في معركة قرب الشلف،[3]ثم توجه إلى تلمسان للقضاء على سلطة "أبي حمو الثالث"[1]، بعد أن استخلف أخاه إسحاق على تنس.

---

(1)أحمد توفيق المدني:**حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792**،المرجع السابق، ص164.

(2) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص20.

(3) يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص14.

خرج أبو حمو في أواخر جانفي ومعه جموع من الأعراب إلى فرقة الجيش الإسباني وتمكنت هذه القوة من مباغتة قلعة"بني راشد" بهجوم قوي لم تصمد له حامية القلعة رغم المقاومة الضارية.

تابع أبو حمو تقدمه نحو تلمسان مدعما بقوة إسبانية نزلت في بلدة "رشقون" الساحلية،لدعم الهجوم البري، وسارت هذه القوة بسرعة نحو تلمسان[2] على الطريق الساحلي لدعم الهجوم البري، والتقت مع قوات"أبي حمو" على أبواب تلمسان، وضربت حصارا قويا محكما على المدينة.[3]

ورغم عدم تكافؤ القوى المتصارعة، إلا أن "عروج" خاض معارك قاسية،اضطر خلالها للانسحاب إلى"قلعة المشوار"وتحصينها، وأمام فرض القوة الإسبانية التي بلغت خمسين فارسا حصارا شديدا بقيادة"غارسيادي لابلازا" استشهد "عروج" بعد أن أظهر بسالة وثباتا في الدفاع عن نفسه.[4] وأرسل الإسبانيون جلبابه إلى كنيسة جيروم ليكون شارة لهم.[5]

رابعا: انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية، وجهود البايربايات الأوائل:

بعد استشهاد"عروج"،عزم أخوه"خير الدين" على السفر إلى إقليم الروم لأجل الغزو،ومواصلة الجهاد،وجمع أهل الجزائر من العلماء و الصلحاء، وقال لهم:«إني قد عزمت فيكم من المجاهدين، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس،وما تركت عندكم من الغدة،لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعمئة مدفع....»[6]

واستجابة لطلب أعيان مدينة الجزائر وصلحائها، خلف خير الدين أخاه عروج في حكم مدينة الجزائر، وبادر بإخماد حركتي تنس وشرشال،لكن ذلك لم يكن كافيا فحركة ابن القاضي في بلاد القبائل تهدد بالامتداد حتى أبواب العاصمة،وحركة أبي حمو تهدده من

---

(1) أبو حموالثالث (923-934هـ)، خلف ابن أخيه أبو زيان أحمد، أول ما فكر فيه الاحتماء بالإسبان، عوض أن يجاهدهم، ويتخذ له جيشا يقوى به عليهم، فحالفهم على طاعته على دفع خراج سنوي، وعلى أن يحموه، في أيامه قويت شوكة الأتراك، وتحاربوا مع الإسبان، حتى استولوا على مدينة تلمسان. أنظر:عثمان الكعاك: **موجز التاريخ العام للجزائر، ص378**.

(2) بسام العسلي:**خير الدين بربروس(و الجهاد في البحر) 1480-1547**،طبعات مختلفة، دار النفائس،بيروت 1986، ص104.

(3)نفسه، ص104.

(4)نفسه، ص106.

(5) يحي بوعزيز:**الموجز في تاريخ الجزائر**، ص16.

(6) جمال قنان:**نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830**،د ط،المؤسسة الوطنية للطباعة،الجزائر،1987، ص42.

الناحية الغربية، مما أدى بخير الدين إلى اتخاذ قرار يكشف عن عمق حاسته وعبقريته السياسية، فقد قرر أن يربط مصير الجزائر بمصير الدولة العثمانية.[1]

جهود حسن آغا940-950هـ/1533-1543م:

أكبر انتصار حققه حسن آغا في الجزائر هو الحاق الهزيمة"بشارلكان" ملك إسبانيا في الحملة المشهورة باسمه، في شهر أكتوبر 1541الموافق لجمادى الثانية من سنة 948هـ، ألحق فيها حسن أغا هزيمة بالإسبان الذين انتقلوا من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع، كما تمكن من جلاء الإسبان عن عنابة في أواخر سنة 947هـ/1540م،وسط نفوذه على بسكرة وما جاورها.[2]

توفي حسن آغا على الأرجح في أواخر سنة 950هـ/1543م.

جهود صالح رايس959-963هـ/1552-1556م:

لما كانت الدولة الزيانية في هذه الفترة تعيش أسوأ الأوضاع، عزم"صالح رايس"[3]على التخلص منها،لأن بقاؤها على هذا الوضع،يشجع الإسبان على التدخل في شؤونها وهذا ما يهدد خطر الوجود التركي في الجزائر،فهاجم تلمسان، وعزل عنها عميل الإسبانيين "الحسن الزياني" في عام 1554.

و قام صالح رايس أيضا بطرد الإسبان من بجاية و تحريرها عام 1555.[4]

و مما سبق يمكن القول :

– أن ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية كان في ظروف صعبة عاشتها الجزائر من غزو خارجي، وانقسام داخلي وتدهور للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

---

(1) يحي بوعزيز:**مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية** ، ص52.

(2) عمار بن خروف:المرجع السابق، صص،33-34.

(3) يحي بوعزيز:**الموجز في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص20.

(4) صالح رايس،أصله من الإسكندرية،تعلم فنون الحرب، والبحرية في سن مبكرة أثناء أسفاره العديدة مع عروج وخير الدين، واجه ثورة عنيفة في الجنوب، فقد ثار قائد تقرت، ورقلة عليه، ورفضا الاعتراف به، للمزيد أنظر: مبارك بن محمد الهلالي الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، د،ط،مكتبة النهضة الجزائرية، بيروت، 1964 ص81.

– أن الحكام العثمانيين الأوائل قدموا جهودا معتبرة في التصدي للحملات الإسبانيةوتحرير السواحل الجزائرية، وتوحيد البلاد شيئا فشيئا.

المبحث الثالث : الأوضاع السياسية في إسبانيا قبل 1578:

اتسمت الأوضاع السياسية في بلدن المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وإلى غاية **1578**، بسوء الأوضاع وتدهورها، بينما شهدت الأوضاع السياسية في إسبانيا خلال هذه الفترة وضعا مغايرة، بفضل الكشوفات الجغرافية وما نتج عنها من مظاهر.

فبما تميزت الأوضاع السياسية في إسبانيا قبل **1578**؟

تميزت الأوضاع السياسية في المملكة الإسبانية بجملة من الأحداث يكمن أبرزها فيما يلي:

* توحيد تاجي قشتالة وأراغون.
* سقوط غرناطة آخر المعاقل الإسلامية.
* الغزو الإسباني للسواحل المغربية.
* ثورة مسلمي الأندلس(ثورة جبل البشارات).

أولا: توحيد تاجي قشتالة و أراغون:

أدى زواج"ايزابيلا" ملكة قشتالة مع ملك أراغون"فرديناند" إلى اتحاد المملكتين في 19أكتوبر 1469بعد أن كسبت "ايزابيلا" محبة زوجها وثقته.[1]

ولتصرف الملكة أنظار الناس عن الفوضى والفساد في مملتكها أشغلتهم بمحاربة المسلمين،إذ كانت تطمح أن يرتبط اسمها في التاريخ باخراج المسلمين من إسبانيا ولكن كانت تقوم في وجهها صعوبتان دون تحقيق هذه الأمنية الغالية عليها.

1. وجود معاهدة بين مملكتي قشتالة وغرناطة، وقد جددت هذه المعاهدة عام 1448م بين الملكة وبين الملك"أبي الحسن" ملك غرناطة، وقد أدخل هذه المعاهدة بند يسمح لكل من الجانبين بالقيام بالغارات، ومهاجمة الحصون الواقعة على الحدود، بشرط أن لا يكون مع المهاجمين مدافع، وبشرط أن لا يدوم حصن من الحصون أكثر من ثلاثة أيام.

(1) أسعد حومد: **محنة العرب في الأندلس** ،ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،1988، ص127.

2. أن حالة المملكة الإقتصادية والمالية لم تكن لتسمح بشن الحروب واحتمال نفقاتها كما كان الملك يعارض باشغال نفسه في حرب قد تكون طويلة الأمد،تهم مملكة قشتالة وحدها.[1]

توفيت الملكة"ايزابيلا" سنة 1504،دون تحقيق حلمها، لكنها تركت وصية جاء فيها ما يلي:« ...إني أرجو الأميرة إبنتي(جين) وزوجها (فيليب)[2]وآمرهما بطاعة وصايا أمنا المقدسة الكنيسة، طاعة تامة،وأن يكونا حماتها والمدافعين عنها حسب ما يقتضي واجبها،وألا يكفا عن متابعة فتح إفريقية، ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان..... »[3]

وأمام تحقيق الوحدة بين المملكتين، قويت شوكة الإسبان، وأصبحت الظروف مواتية لتحقيق مطامع الملكة التي كانت في سنة 1489،عازمة على أن تقضي نهائيا على بني الأحمر، وتخرج المسلمين جميعا من أرض الأندلس، وكان في الشقاق المتصل الذي شتت هذه السلالة الإسلامية،ما ساعد إيزابيل على تنفيذ عزمها، فقد ثار على أبي الحسن آخر أمراء غرناطة ولداه"أبي عبد الله محمد"،و"أبي الحجاج يوسف".[4]

إلا أن ظروفا آخرى وقفت دون تحقيقها ذلك(مشار إليها في توحيد قشتالة).

ثانيا: سقوط غرناطة آخر المعاقل الإسلامية :

لم يرتح الإسبان في تحقيق مساعيهم للقضاء على المسلمين حتى خرج الملك "فرديناند" في ربيع سنة 895هـ/1490مإلى غرناطة بقوة بلغت خمسة آلاف فارس وعشرون ألفا من المشاة إلا أن المقاومة العنيفة للمسلمين حالت دون تحقيق هدف"فرديناند" في احتلال غرناطة.[5]

---

(1)أسعد حومد: المرجع السابق، ص127.

(2) ولد الملك فيليب الثاني في الحادي والعشرين من شهر ماي عام 1527، في أحد البيوت المجاورة للقديس بابلوضون، قضى أولى سنتي حياته بجانب والدته، الامبراطورة "ايزابيلا" البرتغالية، التي اشرفت على رعايته، في 9 أفريل 1528 ولاه مجلس قشتالة ولاية العهد في مدريد، للمزيد:أنظر: محمد عبده حتامله: **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فليب الثاني 1568-1598**، ط1، الجامعة الأردنية، عمان،الأردن، 1982،ص11.

(3)محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث**،ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان، 1969، ص12.

(4)كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**،تعريب نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1965، ص343.

(5) أسعد حومد: المرجع السابق، ص134.

عاود"فرديناند" الهجوم على غرناطة مرة آخرى في أفريل 1491، وفرض حصارا على غرناطة دام سبعة أشهر،[1] اضطر خلالها ملك غرناطة"أبو عبد الله بن أبي الحسن" إلى توقيع معاهدة الإستسلام،ونقلا عن "أبي عبد الرحمان على الحجي" عما أورده المقري في كتابه نفح الطيب بقول شاهد عيان أندلسي وبخطه هو الفقيه المؤرخ"أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي" نزيل تلمسان أنه: «كان الإستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقي من بلاد الأندلس للإسلام في محرم عام 897هـ،ووقعت معاهدة التسليم بين حاكم غرناطة المتخاذل،وبين ملكي قشتالة في 21محرم 897هـ الموافق لـ 25نوفمبر 1491م»[2]

ثالثا: بدايات الغزو الإسباني لسواحل المغرب الإسلامي:

كانت هجرة الأندلسيين قد ازدادت بعد سقوط غرناطة بيد الإسبان، وبعد محاولات التنصير القسري،ثم التهجير الإجباري، استقر مسلموا الأندلس على طول الساحل الإفريقي للبحر المتوسط،وأعادوا إعمار العديد من البلدان والقرى المهجورةوانطلقوا من مواني الشمال الإفريقي لغزو السواحل الإسبانية.

وجاء رد الفعل الإسباني سريعا،وعنيفا ومؤلما للأندلسيين، والمغاربة،ففي الجزائر احتل الإسبانيون مواني عنابة 867هـ/1463م، المرسى الكبير في سنة 911هـ/1505م.[3]

وعلى وهران سنة 915هـ/1509م، وبجاية سنة 916هـ/1510م،[4]وفي العام نفسه استولوا على طرابلس الغرب جمادى الأولى 916هـ/جويلية1510م،كما احتل الإسبان عند وادي نون منطقة بنوا فيها حصنا سموه سانتاكروز في سنة 883هـ/1478م.[5]

وفي المغرب الأقصى أقدم الإسبان على احتلال مليلة 903هـ/1497م، وبادس في سنة 913هـ/1507م.

رابعا: الصدام المسلح بين شارلكان و فرانسوا الأول:

(1) مجموعة مؤلفين: **موسوعة الأندلس و المغرب العربي**، ط1، دار المدار الثقافية، البليدة، الجزائر، ج1،ص619.

(2) عبد الرحمن علي الحجي:**التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**،ط2،دار القلم،دمشق،2008،ص496.

(3)عبد الكريم محمود غرايبة: **تاريخ العرب الحديث**،د،ط،الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت،1984،ص-ص،40-41.

(4)يحي بوعزيز:**الموجز في تاريخ الجزائر**،ص252.

(5) عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص11.

توقع الكثيرون بعد المعركة الإنتخابية حول عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة سوف تنتهي لتحل محلها معارك حربية بين المنتصر، والمنهزم، لأن انتخاب ملك إسبانيا إمبراطورية الدولة الرومانية المقدسة أتاح لإسبانيا سيادة عابرة في العالم في أوائل العصر الحديث، اعتبرتها فرنسا إخلالا خطيرا بمبدأ التوازن الدولي، فقد غدا شارلكان يحكم أكثر من نصف أوربا الغربية، عدا الممتلكات الشاسعة في العالم الجديد، وغدا قوة رهيبة تهدد فرنسا، لأن أملاك الإمبراطور[1]أصبحت تحيط بفرنسا من كل جانب،فضلا عن تنافس هذين العاهلين على دوقية ميلان[2]،اندلعت حرب ما بين سنتي 1526 و1529مبعد نقض فرانسوا الأول الملك المنهزم لمعاهدة مدريد 931هـ/1525م،وتحالفه مع العثمانيين ضد الإمبراطور المنتصر شارل الخامس.[3]

خامسا: سياسة فليب الثاني تجاه ثورة البشارات:

بعد تولي الملك"فيليب الثاني" عرش إسبانيا خلفا لأبيه "شارل الخامس" الذي ورث عنه كل الحقد والكراهية ضد المسلمين فجمع في نفسه كل الصفات السيئة كالظلم والشراسة، وفساد الأخلاق،يصفه أحد المؤرخين قائلا:«قليل من الرجال الذين عرفهم التاريخ،قد استطاعوا بجهودهم الخاصة، أن يأتوا بمثل هذا المقدار الضخم من الشر الذي جاء به هذا الملك...وإذا كانت هناك عيوب قد بريء منها، فسبب ذلك هو أنه غير مسموح للطبيعة الإنسانية بأن تبلغ الكمال،حتى في الشر»[4]

ففي عهده قامت ثورة الأندلسيين سنة 1865،ردا عن الحقد والظلم الذي يكنه"فليب"ضدهم،لكنه سرعان ما قضى عليها في السنة نفسها وأصدر مرسوما عام 1568باقتراح من القسيس الضون"بيدروغريرو"(Don PedroGuerréro)الناقم على المورسكيين ودينهم، حواه ترحيل الأندلسيين وتهجيرهم، ومصادرة ممتلكاتهم.[5]

و مما سبق يمكن القول:

(1) عبد العزيزمحمد الشناوي:**أوربا في مطلع العصور الحديثة**،د،ط ،دار المعارف،مصر،1969،ج1،ص306.

(2)نفسه،ص307.

(3)عادل سعيد بشتاوي:**الأندلسيون المواركة**،دار المقطم للنشر و التوزيع،القاهرة،1983،ص125.

(4)بسام العسلي:**الجزائر الحملات الصليبية**،طبعات مختلفة،دار النفائس،بيروت،1986،ص57.

(5) مجموعة مؤلفين: **موسوعة الأندلس والمغرب العربي**،ط1، دار المدار الثقافية،البليدة، الجزائر،ج1،ص620.

– أن إسبانيا أصبحت دولة قوية بفضل التوحيد في سنة 874هـ/1469م،فتولت مهمة استرداد أملاكها في إسبانيا، والقضاء على المسلمين فيها، كما أن احتضان دول المغرب الإسلامي للأندلسيين سببا مباشرا في قيام الإسبان بهجوم سواحله.

الفصل الثاني: معركة وادي المخازن وأبعادها الدولية.

المبحث الأول: الأسباب.

المبحث الثاني: المجريات.

المبحث الثالث: النتائج.

المبحث الأول: الأسبـــــاب:

تعد معركة وادي المخازن من المعارك الحاسمة في تاريخ المغرب، مهدت لوقوعها أسباب عديدة ،يمكن أن نلخصها في النقاط التالية :

* تنافس السعديين على الملك، و استنجاد المتوكل بالبرتغاليين.
* هزيمة العثمانيين في معركة ليبانتو.
* فقد البرتغال لمستعمراته، و دخوله في أزمة إقتصادية.
* التقارب الإنجليزي مع عبد الملك السعدي.
* التفاهم السري على الحملة بين فليب الثاني و سبستيان.

أولا: تنافس السعديين على الملك و استنجاد المتوكل بالبرتغاليين:

نافس المتوكل في الحكم، عماه عبد الملك المعتصم و أحمد المنصور اللذان ظافرا الجهود لإقصاء المتوكل،[1]و من ذلك استنجادها بالسلطان العثماني، فأمدها حاكم الجزائر بقوة عسكرية بلغت خمسة آلاف تركي، ألف من الزواويين، وثمانمئة من الصبايحية، وستة آلاف فارس، و إثنا عشر مدفع،مقابل تعويضات بعد الانتصار في الحملة. [2]

تقابل الطرفان في مواجهات عديدة نذكر منها:

- **موقعة الركن في 08ذو الحجة/09 مارس1576:**

التقى الطرفان في موقع قرب فاس يدعى الركن،و اشتد القتال من الجمعين،فانهزم المتوكل، و فر إلى فاس بعد اشاعة تخلي بعض القائدين عنه. [3]

- **موقعة خندق الريحان في ربيع الثاني 984 هـ/جويلية 1576 م:**

من فاس توجه المتوكل مرة أخرى فارا إلى مراكش،و جند جنودا من أهل سوس، بعد أن أغدق عليهم أموالا كثيرة،و في هذه المعركة التقى الطرفان في "وادي الريحان"، و بعد قتال عنيف خسر المتوكل المعركة، بينما غنم عبد الملك و جيوشه غنائم كثيرة،و واصلوا ملاحقة جيش المتوكل نحو"جبل سوس".[4]

---

(1) عبد الهادي التازي:"**وقعة وادي المخازن بدون رقابة**"،في م د ح،المغرب أوت 1978 م،عدد8 ،ص27 .

(2)FRAYDIEGO DE Haédo :HISTOIRE des Rois d'Alger,traduite H,D Grammont,Alger,1881,p161.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ج5،ص64.

(4) المجهول:المصدر السابق،ص53.

- **موقعة تنزرت في سنة 984 هـ/ 1576 م:**

في هذه المعركة، عاد النصر أيضا لأحمد المنصور،رغم قلة جنوده و بلغت خسائر المتوكل بعد الهزيمة حوالي أربعة آلاف قتيل. [1]

و بعد توالي الهزائم على المتوكل، و خذلان الأتراك له، تطارح بطنجة على طاغية البرتغال SEBASTIAN مستنصرا به على عميه، و بني جلدته، فوجد فيه استعداد. و رغبة على شرط أن يتنازل له المتوكل عن جميع شواطيء المغرب. [2]

ثانيا: هزيمة العثمانيين في معركة ليبانتو 979 هـ/1571 م:

إزاء الحلف الأوربي المسيحي الثالث عشر[3] سرابين قداسة البابا بيوس الخامس . و فليب الثاني ملك الإسبان ، وجمهورية البندقية، نشأت وقعة المعركة ليبانت البحرية الشهيرة بجنوب بلاد اليونان بتاريخ 17 جمادى الأولى سنة 979هـ/ أكتوبر 1571م،و ذلك بدافع الإنتقام من سيطرة الأتراك العثمانيين على قبرص،التي كانت تابعة للبندقية.و قد شارك الأسطول الجزائري في هذه الحرب أساطيل الدولة العثمانية في الدفاع عن حوزة الأتراك.

و في المعركة فقد كل من الأسطولين العثماني، و الجزائري جل مراكبها الحربية . ولم يسلم من بين 208 سفينة التي شاركت في المعركة سوى 92 منها فقط. [4]

ثالثا: فقد البرتغال لمستعمراته،و دخوله في أزمة إقتصادية 1521 م/1557 م:

سخر البرتغال الكثير من موارده البشرية،و المادية،من أجل توسيع نفوذ مستعمراته في الخليج، والمغرب، إلا أنه بقيام الحركة الجهادية في المغرب و تبني السعديين الجهاد ضد الغزو الإيبيري، ببقيادة أحمد الأعرج، ومحمد الشيخ، فقد البرتغال العديد من السواحل المغربية، ولم يبق للبرتغاليين سوى طنجة ، وسبتة في الشمال، و الجديدة في الجنوب. [5]

مر البرتغال في ظروف صعبة، أدخلته في أزمة إقتصادية، وصعب عليه التمسك ببعض المستعمرات،نتيجة للأسباب التالية:

1. انعزال الثغور المحتلة عن العاصمة البرتغالية لشبونة.

---

(1) أبو فارس القشالي:المصدر السابق،ص32.

(2) عبد الهادي التازي:"**وقعة وادي المخازن بدون رقابة**"،المرجع السابق،ص27 .

(3) انعقد الحلف في الفاتح من محرم 979هـ/25 ماي 1571 م،تقرر فيه إعلان الحرب الهجومية و الدفاعية أيضا من طرف الحلفاء ضد تركية لإسترداد جميع الأماكن التي فتحها الأتراك.

(4) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي:**تاريخ الجزائر العام**،ط8،دار الأمة،الجزائر،2007،ج3،ص97.

(5) سعيد أعراب:"**وقعة وادي المخازن و انتحار الصليبية بالمغرب**"،في م د ح،المغرب أوت 1978 م،عدد8 ،ص90 .

2.عدم وجود خطة متبعة في سياستهم تجاه المسلمين الذين أخذوا يسترجعون ثغورهم. [1]
و إزاء هذه الظروف الصعبة أعلن البرتغال حملته على المغرب.

رابعا: التقارب الإنجليزي مع عبد الملك السعدي:

عندما تولى عبد الملك السعدي السلطة في المغرب، بدأ في التقرب من الإنجليز . وتوطيد علاقاته مع الملكة الإنجليزية إليزابيت[2]، فراسلها باستعداده لتلبية كل مطالبها، ومما جاء في رسالته: «...."زبيلا"...كتبناه إليك من حضرتنا العلية مراكش....فلتتعرفي أنت على محبتك و كل ما يعرض لك في بلادنا من الأغراض، فإنه مقضي على ما يوافق غرضكم و مرادكم.» [3]

و أمام التعاون الإنجليزي مع عبد الملك السعدي ، وتكوين هذا الأخير لجيش قوي. في المغرب على النمط العثماني ، استاء الإسبان و البرتغاليون، وأخذوا يعدون العدة لغزو المغرب.

خامسا :التفاهم السري على الحملة بين فليب الثاني و سبستيان:

أمام تشابك الأسباب، وتأزم الظروف على البرتغاليين، لم يكن أمام الملك البرتغالي. إلا التوجه نحو ملك إسبانيا ، خاله فيليب الثاني، الذي وعده بتقديم العون، خاصة عندما انشغلت الدولة العثمانية بحروبها مع الصفويين[4]، فكانت الفرصة مواتية أمام الضون سبستيان،و فيليب، وللإتفاق معا على التعاون ضد المغرب.

و عندما استنجد المتوكل بالإسبان ضد أخيه عبد الملك السعدي[5]، وجد الإسبانيون الفرصة سانحة لإعلان الحملة مع البرتغال، واتخذوا الإستنجاد ذريعة في التدخل.

---

(1) شوقي عطا الله الجمل:**تاريخ المغرب العربي الكبير**،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،1977 ،ص36.

(2) أليزابيت الأولى ملكة إنجلترا،تولت العرش في 1558 م،و حكمت هدة خمس و أربعون سنة.

(3) عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص-ص،100-101.

(4) إسماعيل ياغي أحمد:**الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ،ط1،مكتبة العبيكان،الرياض،1996 ،ص65.

(5) يقول الشاعر الفرنسي أكبرييادو يين المعاصر لأحداث هذه الفترة:«كان عبد الملك جميل الوجه،بل أجمل قومه . وكان فكره نيرا بطبيعته، و كان يحسن اللغات الإسبانية، و الإيطالية و الأرمنية و الروسية، و كان شاعرا مجيدا في اللغة العربية،و باختصار، فإن معارفه لو كانت عند أمير من أمرائنا لقلنا إن هذه أكثر مما يلزم بالنسبة لنبيل، فأحرى لملك.»أنظر:محمد علي الصلابي:**الدولة العثمانية**...،المرجع السابق،د ص.

المبحث الثاني : المجريات :

إن ما اتسمت به السياسة البرتغالية من تأرجح في المواقف، حمل حينذاك حكومة لشبونة إلى الإهتمام بالمغرب الأقصى، وبينما صرف "يوحنا الثالث" (1521-1557م) كل جهوده إلى إستغلال البرازيل، والتخلي عن سبتة وطنجة والقصر، فإن حفيذه سيستيان (1557-1578م)، الذي نشأ في بلاط ساده جومفعم بالتصرف، وتأثر بمعلميه اليسوعيين، عزم على غزو المغرب الأقصى، رغم معارضة قواده، ونصائح خاله فليب الثاني ملك إسبانيا ورغم تحذير الشاعر الكبير كموينس "Camoens" الذي عرف مصاعب الحرب في إفريقيا، و شارك فيها كجندي بسيط، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، وكانت المعركة.فما هي أبرز مجريات المعركة ؟

* حشود النصارى و الإبحار نحو المغرب.
* التعبئة المغربية.
* قوى الجيشين.
* إندلا ع المعركة، وعوامل النصر.

أولا: حشود النصارى و الإبحار نحو المغرب:

بعد أن أصبحت الظروف مهيئة للملك البرتغالي أبحرت السفن البرتغالية يوم 24 جوان 1578م من لشبونة، وأقامت بـ"بلاكوس"[1] أياما قليلة، ثم انطلقت نحو"قادس" أسبوعا كاملا. [2] لينزل القوم إلى طنجة دون مقاومة، و خاصة أصيلا. [3] وساروا في اتجاه القصر الكبير. [4]

عسكر الملك"بسوق الخميس" على بعد ستة أميال جنوب وادي القصر بعدما وصلت إليه تقارير جواسيسه تطلعه بتحركات الجيش المغربي و قيادته. [5]

(1) مرفأ صغير يبعد عن لشبونة بمئتي كيلومتر.

(2) عبد الكريم كريم:المرجع السابق،ص105.

(3) شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**،تعريب محمد مزالي و البشير سلامة، د،ط،الدار التونسية، تونس،1978، ص270.

(4)نفسه، ص270.

(5) عبد الكريم كريم:المرجع السابق، ص105.

ثانيا : التعبئة المغربية :

كان النداء من جانب المغرب الأقصى:« أن قصدوا وادي المخازن للجهاد في سبيل الله»،فلبى الشعب المغربي النداء، والتف جموع المغاربة حول قيادة عبد الملك المعتصم بالله. وحاول المتوكل الملك المخلوع استدراجهم ، فكتب إلى علماء المغرب قائلا:«ما استنصرت النصارى حتى عدمت النصرة من المسلمين» و ذكرهم بقوله تعالى :« فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فاذنوا بحرب من الله و رسوله...». [1]

وأجابه العلماء برد يبطل إدعاءاته ومما جاء فيه :«الحمد لله كما يجب لجلاله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خير أنبيائه و رسله،و الرضى به،حتى أسس الله دين الإسلام بشرط صحته وكماله»و بعد:

«لو رجعت على نفسك اللوم و العتاب، لعلمت أنك المحجوب و المصاب....و أما قولك في النصارى فإنك رجعت إلى أهل العدوة، و استعظمت أن تسميهم بالنصارى، فيه المقت الذي لا يخفى، وقولك رجع إليهم حين عدمت النصرة من المسلمين ففيه محظورات يحضر عندهم غضب الرب جل جلاله....» [2]

بهذه المبررات رد علماء المغرب وصلحائهم على الحجج التي ادعاها المتوكل في عمالته للنصاري.

وحاول عبد الملك المعتصم بالله استفزاز الملك البرتغالي، وشن حرب نفسية عليه. فكتب إليه خطابا لما رحل من مراكش إلى سلا و منها إلى القصر الكبير قائلا:

«...إني جئتك من مراكش و رحلت إليك ستة عشر مرحلة [3]،و أنت تدن إلي مرحلة واحدة...» [4]. و بهذا الخطاب استدرج "عبد الملك" "الدون سيستيان" إلى طريق مسدودة بين نهر "لوخوس""Loukkos"و "وادي المخازن" الذي علو الماء فيه مختلف عن علو الماء في الأودية الأخرى. [5]

وبادر بالهجوم يوم الأحد الثالث من أوت 986هـ/1578م .

---

(1) سورة البقرة :الآية 279.

(2) علي محمد الصلابي:**الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط**، ط1،ا لمكتبة العصرية، صيدا، بيروت2007،د ص.

(3) مسافة تقدر ب42كلم.

(4) المجهول:المصدر السابق، ص59.

(5) شارل اندري جوليان :المرجع السابق، ص270.

ثالثا: قوى الجيشين :

أ–الجيش البرتغالي :

تباينت الروايات التاريخية حول عدد القوات التي تحركت من لشبونة،[1]فالروايات الأوربية تذهب للتقليل من عدد جيشها بعد الهزيمة، و تضخيم عدد الجيش المغربي، لمسح عار الهزيمة، و تبريرها بالعدة و العدد.

و قد قدر حجم القوات المشاركة في هذه المعركة بما يلي:

تسعة آلاف جندي برتغالي (9000)

ثلاثة آلاف ألماني (3000)

ألفان إسباني (2000)

ستمئة إيطالي (600)

ستمئة من العبيد (600)

قوات بابا روما (4000) مقاتل [2]

شرذمة المتوكل التي تقدر بنحو 300 أو 600 .

و كما وعد فيليب الثاني ملك إسبانيا إبن أخته بتقديم خمسون سفينة حربية، وخمسة آلاف مقاتل، وكمية كبيرة جدا من المؤن والأسلحة والذخائر ، فإنه وفى بكل ما وعد به ابن أخته، وبذلت حكومته كل ما في وسعها لتوفير منتجات الأندلس، ونابلي لكي توضع تحت تصرف قائد الحملة كي توضع تحت تصرف قائد الحملة الأوربية، حيث كان يعلم بالمجد و الإنتصار، وتنفيذ مخطط أوربي بابوي لضرب الوحدة الإسلامية التي باتت ملامحها في الظهور بالتعاون المغربي التركي. [3]

ب– قوات الجيش المغربي:

و كان خليفة المغرب عبد الملك على أهبة الاستعداد لملاقاة هذه الحملة،حيث شحذ الهمم، و رفع معنويات الجنود، و بادر بالكتابة إلى أخيه أحمد المنصور لتجهيز الجيوش،استعدادا لملاقاة العدو.

(1) GHANTAL DE LA VERONN :LES SOURGESINE DITE de lhistoire du MAROC 1560-21 aout 1578,dynastie saadienne,Archive et bibliotheques D'Espagne,Paris 1961,p477.

(2) GHANTAL DE LA VERONN :op-cit, p477 .

(3)عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص179.

و كان جيش المعتصم يضم أعدادا كبيرة من المتطوعين، و رجال الطرق الصوفية. و قوات الجزائر التركية، و ذكر المؤرخ المجهول في كتابه تاريخ الدولة السعدية أن عدد المسلمين كان حوالي ستة و ثلاثين ألف جندي، و عدد النصارى مثلهم مرتين أو ثلاث.

و كانت معنويات الجيش المغربي مرتفعة جدا بسبب:

1. ذاقوا حلاوة الانتصار على النصارى المحتلين، و استخلصوا من أيديهم ثغورا. [1] كثيرة، كانت محاطة بالأسوار العالية، والحصون المنيعة، والخنادق العميقة.

2. التفاف الشعب حول القيادة ، ثم التحام القبائل و الطرق الصوفية، وأهل المدن لأن المعركة كانت حاسمة في تاريخ الاسلام، وفاصلة في تاريخ العرب.

3. الحنكة الحربية التي كان يتمتع بها الملك المغربي. [2] حيث كان يذكرهم حتى في الأوقات الحرجة بجزاء المجاهدين الصادقين، ومتعة الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، فقرأ قوله تعالى: «ولَيَنْصُرنَّ الله من يَنْصُرُه إن الله لقوي عزيز »[3]

« يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم »[4]

« و يَأبى الله إلا أن يُتمَ نورَهُ و لو كره الكافرون »[5]

رابعا: اندلاع المعركة و عوامل النصر:

في الرابع من أوت سنة 1578 ، اتجهت قوة سبستيان إلى السواحل الإفريقية على متن الأسطول، و عندما وصل الملك البرتغالي إلى أصيلا، وجد مولاي محمد وحده، ولم يتمكن من جمع فرد واحد لصفه.

قرر سبستيان التحرك من أصيلا برا، و لم يكن يعلم بخطورة المسير. فاتجه عبد الملك رغم مرضه فورا إلى الشمال، و تقابلا الطرفان بجوار العرائش.

و لما أحس عبد الملك بالمرض أسند قيادة الجيش لأخيه أبو العباس أحمد المنصور. و لأن عبد الملك كان قد أثار الدون سبستيان ببعض الرسائل جعلته في اليوم الثاني من المعركة يعبر جسرا قريبا من القصر الكبير، و لم يفكر[6] نهائيا بوضع قوة الجسر لضمان خط عودته، و بدأ الجيشان بالقتال، و لكنه لم يستمر طويلا، لأن الجيش البرتغالي اصطدم

(1) محمد علي الصلابي : المرجع السابق، د ص.

(2)نفسه.

(3) سورة الحج: الآية 40.

(4) سورة محمد: الآية 07.

(5) سورة التوبة: الآية 32.

(6) سامح عزيز ألتر: **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا**، تعريب علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت1989، ص256.

مع قوة قوية و متحدة فاضطر للتراجع نحو الجسر، لكن الفاسيين أرسلوا خيالتهم للسيطرة على الجسر، وإزاء ذلك اضطر الجيش البرتغالي المنسحب وملكهم لإلقاء أنفسهم في الماء. [1] و كذلك فعل المتوكل فغرق في الماء بعد أن أفلت فرسه. [2]

أما وفاة قائد الجيش المغربي عبد الملك المعتصم بالله، فقد كانت مع بداية المعركة، لكن وزيره العلج رضوان أخفى خبر وفاته عن العساكر لكي لا تنهار معنوياتهم. [3]

و لما علم المنصور بوفاة أخيه، تقدم بجيشه على مؤخرة العدو، فتهالك العدو. و تراجعوا.

قال عبد العزيز الفشتالي واصفا جيش المنصور:

« ...رجاله الأبطال إذ أحرقهم شرر البندق،و لفحت وجوههم نار البارود، تقهقروا يتردف بعضهم ببعض....المشركون جعلوا المنصور غرضا للرمي،فاصابته أيده الله يومئذ جرتحات بالبندق، مشطت إحداها ظاهر قدمه....و أصابته أخرى في صدره، فكانت بردا و سلاما..... » [4]

كُلّلَتْ معركة وادي المخازن بالانتصار المغربي،بفضل دور العلماء و الصلحاء. و بسالة المتطوعين، اللذين أبلوا بلاءا حسنا في قتال العدو دون أن ينتظروا في جهادهم أيّة مساعدة من الدولة.

كما لا ننسى دور الأتراك في المعركة، فبعد استنجاد عبد الملك السعدي بالسلطان العثماني،[5] هبَّ هذا الأخير لنجدته دون أن يتريت و لو للجظة واحدة. حيث أوعز إلى "محمد باشا" بأن يأمر والي طرابلس "سنان باشا" بتوجيه فرق عسكرية لمحاربة البرتغاليين. [6]

و يذكر محمد فريد بك في كتابه الدولة العلية العثمانية عن ذلك ما يلي :

« ...و استعان مدعي الملك بالبرتغاليين، فأوعزت الدولة أو بالأحرى محمد باشا صقللي لوالي طرابلس بانجاد سلطانها الشرعي، فأسرع إلى مساعدته و التقى الترك البرتغال

(1) سامح عزيز ألتر: المرجع السابق، ص256.

(2) محمد بن تاويت: **"وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن"**، في مجلة دعوة الحق، عدد 8،1978 ، ص50.

(3) سامح عزيز ألتر: المرجع السابق، ص257.

(4) الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية و الثقافة، الرباط، د ت، ص83.

(5) مراد خان الثالث ، ولد بالقسطنطية، في 05 جمادى الأولى سنة 953هـ/جويلية 1546م، فاتحة أعماله أن صدر أمرا بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق، للمزيد أنظر: محمد فريد بك المحامي: المرجع السابق،ص259.

(6) محمد فريدبك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط3،مكتبة الآداب، القاهرةمصر،209، ص114.

بالقرب من محل يقال له القصر الكبير، وكان يوما مشهودا، دارت فيه الدائرة على البرتغال وبعد تمام النصر، و إعادة الأمن و السكينة إلى ربوع مراكش، عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق إليها،من هدايا...» [1]

و كانت هناك أسباب و عوامل ساهمت في تحقيق النصر نذكر في مجملها:

1. القيادة الحكيمة،و الحنكة العسكرية التي اكتسبها عبد الملك، و ابن أخيه أبو العباس. و هو يحارب مع الأتراك. [2]

2. العامل الديني الذي كان في صالح المغاربة، الذين اندفعوا نحو الاستجابة لجهاد العدو. و الدفاع عن الدار، والإيمان أمام دعوة عبد الملك في الجنوب و أخيه أحمد المنصور . في الشمال. [3]

3. مهارة، وخبرة رماة المدفعية العثمانيين و الأندلسيين الذين شاركوا إلى جانب المغاربة . في المعركة، فتفوقت المدفعية المغربية على المدفعية البرتغالية. [4]

4. تضامن المغاربة مع رؤساء البحر الجزائريين،[5] و رغبتهم في النيل و الإقتصاص. من الصليبيين اللذين استولوا على غرناطة إلى جانب السواحل المغربية و عذبوا المسلمين المهاجرين الذين كانوا تحت حكمهم في الأندلس.

5. القدوة و الأسوة المثالية التي ضربها للناس كل من عبد الملك و أخيه أحمد المنصور . حيث شاركوا بالفعل، والسنان في القتال، فكان حالهما له أثر أشد في اتباعهم من قولهم.

6. تعصب سبستيان برأيه، و عناده، و عدم الأخذ بمشورة مستشاريه، و كبار رجال دولته. مما جعل القلوب تتنافر.

7. وعي الشعب المغربي المسلم بخطورة الغزو النصراني البرتغالي، و قناعته بأنه جهاد في سبيل الله ضد غزو صليبي حاقد. [6]

8. دعاء و تضرع المسلمين لله بانزال النصر عليهم، و خذل،و هزيمة أعدائهم.

---

(1) نفسه، ص106.

(2) عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ط1،ا لمركز الثقافي العربي،ا لمغرب2007، ص464.

(3) محمد حجي: **المغرب في عهد الدولة السعدية**، في م د ح، المغرب 1980، عدد5، ص30.

(4) علي محمد الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، دار الفجر للتراث،ا لقاهرة، ج2، ص676.

(5) جلال يحي: **تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة و هجوم الاستعمار**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج3، ص31.

(6) علي محمد الصلابي: **الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط**، المرجع السابق، ص20.

و غير ذلك من الأسباب.و هي نفس العوامل التي أدت إلى انهزام البرتغاليين بقدر ما أدت إلى نصر المغاربة، إلى جانب العامل الطبيعي (الحرار الشديدة)، التي أثرت على قدرات الجيش الصليبي الذي لم يتعود على هاجرة المغرب.

المبحث الثالث : النتـــائج.

انتهت معركة وادي المخازن،و خلفت وراءها نتائج كثيرة،بعد أن توفي فيها ثلاثة ملوك هم: الملك البرتغالي سبستيان متأثرا بجراحه،و غرق في النهر حليفه الملك المغربي المتوكل بالله. بينما استشهد عبد الملك السعدي في بداية المعركة متأثرا بمرضه الذي أصابه في الطريق.

و يمكن أن نلخص نتائج المعركة في النقاط التالية:

أولا : بالنسبة للمغرب:

أ- تعد إنتصار ساطع للمغرب الذي خرجت منه غنية، و أخذت مسلكا قويا ضد السيطرة التركية،[1]حيث توقف المد الإيبيري، وطويت نهائيا فكرة ضم المغرب إلى الدولة العثمانية،و حصل توازن في المنطقة بين الأشراف و الأتراك دام مدة قرنين. [2]

ب-ساعدت الحملة المنصور كثيرا على التخلص من المعارضين، و التفرغ إلى تحسين أوضاعه الداخلية،السياسية، والإقتصادية. [3]

ج- ارتفع نجم الدولة السعدية في أفق العالم، وأصبحت دول أوربا، تخطب ودها واضطر ملك البرتغال الجديد، وملك إسبانيا أن يرسلوا وفودا محملة بالهدايا الثمينة ثم قدمت رسل السلطان العثماني مهنئة ومباركة، ومعهم هداياهم، وبعدما رسل ملك فرنسا، وأصبحت الوفود تصبح وتمسي على أعتاب تلك القصور.[4]

---

(1)HISTOIRE ET MEMOIRE :Fables de la mémoire, la glorieuse bataille des trois Rois,Annles HSS,Paris,novembre-décembre 1995,p1279.

(2) عبد الله العروي: المرجع السابق، ص465.

(3) جلال يحي: **الدولة العثمانية**....، المرجع السابق، ص42.

(4) محمد علي الصلابي: المرجع السابق، د ص.

ثانيا: بالنسبة للبرتغال :

إذا كانت معركة وادي المخازن، قد عادت على المغرب بنتائج باهرة، فإنها على العكس بالنسبة للبرتغال، حيث تعد نكسة في تاريخ البرتغاليين، وفي ذلك يقول المؤرخ"لويس مارية" واصفا نتائج المعركة :«...و قد كان مخبؤا لنا في مستقبل الإعصار العصر الذي لو وصفته-كما وصفه غيري من المؤرخين- لقلت: هو العصر النحس البالغ في النحوسة،الذي انتهت فيه مدة الصولة،و الظفر،و النجاح،و انقضت النخوة،و القوة منهم و خلفها الفشل، و انقطع الرجاء، و اضمحل ابان الغنى و الربح، و ذلك هو العصر الذي هلك فيه "سبستيان" في القصر الكبير من بلاد المغرب...» [1]

و هذا القول كاف لأن يصف حجم الكوارث و النتائج التي حلت بالبرتغاليين إلى جانب العديد من النتائج نذكر منها :

أ- هزيمة البرتغاليين هزيمة"ساحقة، و فقدهم لإثنين و ستين ألف قتيل (62000). وعدد كبير من الأسرى، [2] إلى جانب ولي العرش الضون سبستيان الذي خلفه في الملك الكاردينال العجوز "هنري" في فيفري من سنة 1580، وفي عهده دخلت البلاد في أزمة وراثة العرش، وقامت إسبانيا بضم البرتغال إليها بعد وفا ته لمدة ستين سنة .

ب-منعت البرتغال من التدخل في الشؤون المغربية، وبعدما مهدت الطريق لوصول أحمد المنصور،أخو عبد الملك،و الذي كان نائبا عنه في مراكش إلى الحكم، و دخل المغرب مع حكمه في طور جديد،له مميزاته الخاصة. [3]

ج- أفل نجم نصارى البرتغال في بحار المغرب، و اضطربت دولتهم، وضعفت شوكتهم، وتهاوت قوتهم. [4]

د- إحتفاظ الدولتين الإيبيريتين ببعض المراكز التي كانت محاصرة باستمرار التي سرعان ما ضمت إلى إسبانيا، ولم يبق تحت سيادة "لشبونة"سوى"طنجة" التي أهديت إلى إنجلترا عند زواج الملك شارل الثاني بأميرة برتغالية سنة 1072 هـ/1661م، وظلت "البَرَيجة"[5] وحدها في يد البرتغاليين إلى أن حررها السلطان محمد الثالث (1182 هـ/1769م). [6]

---

(1) شوقي أبو خليل: **وادي المخازن**، ط4، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1993، ص71.

(2) جلال يحي: **تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، المكتب الجامعي الحديث،2010 ، ص125.

(3) **نفسه**، ص125.

(4) محمد علي الصلابي: المرجع السابق، د ص.

(5) مستعمرة برتغالية جنوب الدار البيضاء ، سميت بعد ضمها للإسبان بالجديدة.

(6) عبد الله العروي: المرجع السابق، ص465.

و مما سبق يمكن القول:

– إن معركة وادي المخازن، كانت تعبر على مدى الحقد الديني الذي يكنه الصليبيون للإسلام و المسلمين.سواء في شبه الجزيرة الإيبيرية، والمغرب الإسلامي، أو العالم الإسلامي ككل.

– بقدر ما كانت معركة وادي المخازن،أو الملوك الثلاثة عار و نكسة على البرتغاليين كانت من الأعمال الخالدة، كتبت آثارها بأحرف من ذهب في تاريخ المغرب الإسلامي.

– حب الوطن، وقوة إيمان المغاربة و تعاونهم مثلا، حاجزا قويا و متينا أمام كل رغبة صليبية في التنصير ، ومحاولة للقضاء على الإسلام و المسلمين.

– من خان العهد و الأمانة، غرق في بحر الذل و الإهانة ، وهو ما حدث للمتوكل،عندما استنصر بأعداء الوطن و الدين، وخان الأمانة.

– تهور الملك ابرتغالي، وعصبيته أوقع بلاده في أزمة كبيرة بعد أن أفقدته حياته.

الفصل الثالث: علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا في عهد أحمد المنصور السعدي .

المبحث الأول: نظرة عن العلاقات السياسية للمغرب مع إسبانيا قبل 1578م.

المبحث الثاني : العلاقات السياسية للمغرب مع إسبانيا في عهد أحمد المنصور السعدي .

المبحث الأول: نظرة عن العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع إسبانيا قبل 1578م:

- ✓العلاقات السياسية بين الوطاسيين والإسبانيين.
- ✓ العلاقات السياسية بين الأشراف السعديين الأوائل والإسبانيين.

تعد إسبانيا من أهم الدول الأوروبية في غرب المتوسط، التي كانت لها علاقات سياسية مع المغرب الأقصى، ارتبطت هذه العلاقات بالقرب الجغرافي، وبظروف ميزت البلدين في هذه الفترة، فبما تميزت العلاقات السياسية للوطاسيين والسعديين مع الإسبانين قبل 1578م؟

أ. العلاقات السياسية بين الوطاسيين والإسبانيين:

تميزت الظروف السياسية للمغرب في عهد الأسرة الوطاسية بضعف الوطاسيين وعجزهم عن صد الهجمات الإسبانية على السواحل الشمالية المطلة على المتوسط،[1] فاحتل الإسبان مليلة عام 902 هـ/1497م.[2] وغساسة في سنة 1504م، ثم احتلوا حجر بادس في سنة 1508م.[3]

وانقاد الوطاسيون للإسبانيين فتميزت العلاقات بينهما بما يلي:

أنها علاقات سليمة تميل إلى المهادنة والتعاون مع الإسبانيين ضد السعديين فالوطاسيون كانوا ينظرون للسعديين على أنهم مغتصبون للسلطة هدفهم بعد الجهاد تأسيس دولة لذلك إتجه الوطاسيون لمحاربة السعديين بدعم من الإسبان بعدما كان شعارهم الجهاد ضد النصارى المسحيين والدفاع عن الوطن.[4] حيث وجه أمراء الوطاسيين رسائل للحكام الإسبانيين يطلبون منهم يد العون، ومن تلك الرسائل التي كانت توجه لإسبانيا نذكر منها:

---

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، بني حفص، بني زيان، وبني مرين بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين دارسة في التاريخ الإسلامي، ط1 مكتبة مدبولي، 1994، ج6، ص329.

(2) دعاء فرح وآخرون: **الحضارات في الذاكرة العالم العربي**، د ط، 2003، ص122.

(3) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص47.

(4) دييقوطوريس: المصدر السابق، ص103.

الرسالة التي بعث بها "أبو حسون" مللك بادس إلى "شارل الخامس" [1] محررة بتاريخ 3 فيفري 1549 م/محرم 956 هـ بطلب يد العون.[2]

ب. العلاقات السياسية بين الأشراف السعديين الأوائل والإسبانيين:

عندما انطلقت حركة الجهاد الإسلامي بقيادة الأمير السعدي محمد القائم بأمر الله وولديه أحمد الأعرج ومحمد الشيخ، لم تكن بأيدي السعديين تلك المناطق الواقعة تحت سيادة الوطاسيين، وبعد سقوط العاصمة فاس في أيدي السعديين، لم يتجه محمد الشيخ لتحرير الموانئ الشمالية الواقعة تحت أيدي الإسبان، وبقيت هذه الموانئ دون تحرير لظروف داخلية مغربية، تمثلت في محاولة إيجاد توازن في العلاقات الدولية لقطع الطريق على الأتراك للسيطرة على المغرب بعد معارك تلمسان ووصول الأتراك إلى فاس مدعمين "أبي حسون الوطاسي" ضد "محمد الشيخ".[3]

واستمرت العلاقات السعدية تسير في طريقها المعتاد نحو السلم الحذر، ولم تتطور من حسن الجوار نحو التحالف والتعاون، إلا بعد الحملة الجزائرية على المغرب، (1553-1554) ما تلك الحملة التي أشعرتهما بضرورة التقارب، أحدهما من الآخر اكثر من ذي قبل، وبضرورة تعاونهما ضد عدوهما المشترك، فبادر "دالكوليت" الحاكم الإسباني بتوجيه رسائل في نهاية 1554 أو مطلع سنة 1555 إلى "عبد الله بن محمد الشيخ"، وإلى "المنصور بن أبي غانم" المزوار الأسبق لتلمسان .

وبعد اطلاع محمد الشيخ عليها، ابدى موافقته على عقد إتفاق سلام دائم مع الإمبراطور شارلكان، وأن يمنع الأتراك والقراصنة من التردد على جميع موانئه، وأن يتحمل نفقة القوات الإسبانية من يوم نزولها في وهران إلى يوم عودتها إلى إسبانيا، مقابل الحصول على الدعم العسكري الإسباني له في طرد الأتراك من تلمسان والجزائر، ولاسيما من حجر بادس، لأنه كان يحتاج لذلك إثني عشر ألف جندي من المنشأة، وألف فارس. إلا أن الطرفين لم يتوصلا إلى إتفاق دائم بينهما لانعدام الثقة بين الطرفين. [4]

---

(1) شارل الخامس: تولى الحكم بعد الملك فرديناند، وأصبح سنة 1519 على رأس أكبر أمبراطورية في العالم، فقضى عهده في محاربة أعدائه إلى سنة 1556. أعدائه إلى سنة 1556. للمزيد أنظر عنه مولاي بالحميسي: **غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر والمصادر الغربية (948/1541هـ)**.

(2)عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المحمدية، مج8 المغرب 1988، ص262.

(3)عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص329.

(4) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص163.

وتولى عرش المغرب "عبد الله الغالب" [1] بعد مقتل والده "محمد الشيخ" على يد الأتراك، فسار على نفس النهج الذي كان يسير عليه أبوه في علاقاته مع الإسبان.[2]

حيث أنه لما تخوف الأتراك الجزائريين، ولم يطمئن على حكمه منهم، لجأ إلى الإسبان، وأخذ يتقرب منهم، ووجه حملة عسكرية على تلمسان، تزامنت هذه الحملة مع حملة الأوربيين على شمال إفريقيا من أجل طرد الأتراك من المنطقة، كما أبدى موقفا متخاذلا من أهل الأندلس، واستمر في الحفاظ على روابطه الودية مع فيليب الثاني وترك الأندلسيين، ومصيرهم عند الإسبان، وقد عبر عن هذا الموقف، المجهول بقوله:«...فما قاموا على النصارى تراخي عما وعدهم به من الإغاثة، وكذب عليهم، وغشا منه لهم ولدين الله عز وجل ومصلحة لملكه الزائل، وكانت بينه وبين النصار مكاتبات في ذلك ومراسلات، وأنه استشار معهم وأشار عليهم أن يخرجوا أهل الأندلس إلى ناحية المغرب وقصده بذلك تعمير سواحله ويكون لهم بمدينتي فاس ومراكش جيش عظيم ينتفع به في صالح ملكه»[3]

وفي عهد السلطان "عبد الملك السعدي" الذي سبق "أحمد المنصور" إلى الحكم تميزت العلاقات السياسية مع الأسبان، بالتقرب منهم، وكانت هناك مراسلات واتصالات عبد الملك السعدي و"فيليب الثاني" ملك إسبانيا[4].

لم ترق العلاقات بين "فيليب الثاني" و"عبد الملك السعدي" إلى درجة التحالف والتعاون واستأنف السلطان المغربي اتصالاته مع فيليب الثاني حتى سنة 1577م. التي بعث فيها عبد الملك برسالتين، إحداهما بتاريخ 10 جانفي، والأخرى بتاريخ 05 فيفري، عرض فيهما استعداده ورغبته في عهد اتفاق سلام معه، وحلف دفاعي وهجومي ضد الأتراك.

ونظرا لتخوف الأسبان من علاقات عبد الملك مع الأتراك، فقد بعث فيليب الثاني رسالة أخرى بتاريخ 1577/04/16 حملها إليه سفيره الأب مارين، حدد فيها رغبته السابقة في إبرام تحالف معه وحمل معه مقترحات جديدة أهمها التعهد بأن :

- لا يكون له سفن حربية يمكن أن تلحق أضرارا بالشواطئ الإسبانية.

(1)ولد سنة 920هـ، بايعه أهل فاس سنة 965هـ/1557م، رحل إلى تارودانت ليثأر لأبيه فتم له ذلك في معركة حامية الوطيس، أنظر : إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص281.

(2)عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص230.

(3) المجهول:المصدر السابق، **ص** ص:37-38.

(4) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص 124.

– ينتقم من القراصنة الذين يلحقون الضرر إذا ما التجئوا إلى موانئه بغنيمة وإعادتها دون مقابل.
– لا يقدم لأي ملك الدعم ضد إسبانيا، ولو كان يطلب من السلطان العثماني.
– وفي المقابل يتعهد له الملك الإسباني بأن يقدم له المساعدة إذا ما احتاج إليه في أي وقت[1].

ولأن الأسبان كانت لديهم رغبة في قطع أي صلة بين عبد الملك والأتراك، وطرد الأتراك الذين استبقاهم من الحملة الجزائرية على المغرب سنة 1576م/984هـ، وكذا استلامهم الموانئ المغربية، فقد أرسل فيليب الثاني سفيره فرانسيسكو زونيجا (Francisco Zuniga)، الذي كان له اتصال سابق "بعبد الملك" إلى المغرب ليوافيه بمزيد من المعلومات عن الوضع في المغرب، وعن حقيقة أمر عبد الملك ؛ وقد عاد السفير محملا برسالتين من عبد الملك بتاريخ 28 أفريل و29 أفريل، كان محتواها شبيها بمحتوى رسائله السابقة وأخيرا حرز البلاط الإسباني في أوائل ماي 1577 الشروط التي ينبغي قبولها من قبل عبد الملك لإقامة السلام بين الطرفين، ومن هذه الشروط :

– أن يعلم عبد الملك ملك الأسبان عن الأعمال العدائية التي يعتزم السلطان العثماني القيام بها.
– ألا يسند السلطان السعدي أي مهمة للأتراك العثمانيين، وألا يساعدهم ضد إسبانيا.
– ألا يستقبل في موانئه القراصنة الأتراك، وأعداد الأسبان دون أن يكون فيليب الثاني ملزما بالمثل.
– أن تمنح سفن الأسبان وسفن حلفائهم الحرية في الدخول إلى الموانئ المغربية.
– أن يتبادل الطرفان العون ضد السلطان العثماني[2].

ولكن عندما يئس عبد الملك من التحالف مع الأسبان إضافة إلى قساوة الشروط اتجه إلى التقرب من العثمانيين ففترت العلاقات بينه وبين الملك الإسباني الذي دعم الملك البرتغالي في معركة وادي المخازن ضد المغرب، والتي سبق الحديث عنها في الفصل السابق.

ومما سبق يمكن القول :

(1) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص 199.
(2) نفسه، ص 199.

– حاول الوطاسيون الأواخر أن يحصلوا على دعم الإسبان ضد خصومهم السعديين لكن ذلك لم يجدهم نفعا، لأن الإسبان كانوا يهدفون إلى إضعاف قوة الإسلام والمسلمين، بتركهم يقتتلون فيما بينهم،هذا من جهة، وجهة أخرى أنهم كانوا يطمعون في التحالف مع القوة الجديدة الصاعدة ضد الأتراك العثمانيين المعادين لهم، لذلك فإنهم لم يتدخلوا بين القوتين المتناوئتين.

– أما فيما يخص علاقات الإسبان مع السعديين الأوائل، فقد باتت على نوع من السلم الحذر، ولم يحصل أي تحالف فعلي مع الدولتين، إلا في عهد محمد الشيخ حينما شعر بالخطر التركي الذي يهدد ملكه.

المبحث الثاني:علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا في عهد أحمد المنصور السعدي:

خلف "المتوكل"، وعبد الملك السعدي بعد وقعة المخازن في الملك، السلطان أبو العباس أحمد المنصور السعدي، وتميز عهده فيما يخص العلاقات السياسية، بالمروتة واللباقة والانفتاح على العالم الخارجي وهو المسلك نفسه للمخزن السعدي فيما قبل.

فكيف كانت العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وإسبانيا في عهد هذا السلطان؟

ولكن قبل أن ندخل في سياق الحديث عن العلاقات المغربية الإسبانية نتعرف قليلا على السلطان الجديد، فهو أبو العباس أحمد، ابن أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي، ابن أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله السعدي، فخر سلاطين الدولة السعدية التكمدارتية، وأحد ملوك المغرب العظام، ولد بفاس 956هـ، وهي السنة التي استولى فيها السعديون على فاس و قضوا على ملك بني وطاس.[1]

انصرف اهتمام "أحمد المنصور" على المستوى الداخلي إلى تنظيم الإدارة، فألزم الولاة والكتاب القيام بوظائفهم، وأصلح النظام الجبائي فأقر الخراج، وأحدث مكوسا على الأسواق و المبادلات وأدخل العديد من التنظيمات العثمانية... وغيرها.[2]

أما فيما يخص علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا في عهد "أحمد المنصور السعدي"، فقد ميزتها ثلاث مراحل، اتسمت كل مرحلة بجملة من الخصائص والأحداث يمكن تلخيصها فيمايلي:

---

(1) أحمد محمد المقري: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس** ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص ل.

(2) أبو عمران الشيخ وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، د ط، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995 ص226.

- **مرحلة السلام الحذر:(986-990هـ/1578-1582م)**

انتهج "أحمد المنصور" في علاقاته الخارجية سياسة عدم الانحياز المطلق، وأسلوب حسن الجوار، والمهادنة، والحذر من كل ما هو أجنبي.

بدأت العلاقات الإسبانية المغربية في هذه المرحلة بـ:

أولا:استقبال السفارة الإسبانية،و تسليم جثة الضون سبستيان:

بعد الكارثة التي حلت بملك البرتغال، وتولي السلطان أحمد المنصور حكم المغرب أرسل العاهل الإسباني سفارة إلى السلطان المغربي، تلتمس منه التفضل بتسليم جثة دون سبستيان ملك البرتغال،[1] وقد رحب المنصور بطلب فيليب الثاني حول تسليم الجثة ولباه بكل سرور، ودون مقابل، بل الأكثر من ذلك أن أطلق سراح السفير الإسباني "حوان دي سلفا"، الذي وقع أسيرا في معركة وادي المخازن، كما تعهد "أحمد المنصور" في رسالته الموجهة إلى فيليب الثاني في نوفمبر 1578م، بألاّ يتحرك ضد القواعد البرتغالية، وأظهر استعداده لتلبية جميع مطالبه.[2]

ثانيا:قبول هدايا الملك فيليب الثاني:

اعترافا بجميل "أحمد المنصور"، بتسليم الجثة البرتغالية، والرسالة الموفدة،بعث الملك "فيليب الثاني" مع رسله هدية لسلطان المغرب، تحدثت عنها المصادر التاريخية، حيث شملت الهدية على كل نفيس من حجر الياقوت الكبير الحصيات ومن الذخيرة العظمى عند قومه وربعة مملوءة من حصباء الدر الفاخر، وقصب الزمرد.[3]

كان للسفارة الإسبانية وراء ذلك هدفان، الهدف الأول هو محاولة الحصول من السلطان "أحمد المنصور" على التنازل عن مدينة العرائش، مقابل أن تتنازل إسبانيا عن "الجديدة" وأما الهدف الثاني فهو الإفراج عن "دوك دي بارسيلوس" Duque de Barcelos الفارس البرتغالي.

ولكن بفضل المساعي العثمانية، والإنجليزية، واعتماد "أحمد المنصور" سياسة المماطلة والتسويف، وتدخل الملكة "إليزابيث" في شؤون العلاقات المغربية الإسبانية حيث بعثت أواخر عام 1582م/990هـ،عرضا لأحمد المنصور لأجل المساعدة في حالة هجوم فيليب على العرائش، خاب هدف العاهل الإسباني في الحصول على الهدف الأول.[4]

---

(1)عبد الهادي التازي: **تاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ص142.

(2) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، ص215.

(3)عبد الهادي التازي:المرجع السابق، ص ص:142-143.

(4)عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص143-145.

- **مرحلة تقارب الإسبان مع المغرب: (987- 995هـ/ 1583-1587م)**

حرص "أحمد المنصور السعدي" منذ توليه عرش المغرب، على المحافظة على استقلال المغرب، وأمام الخطر التركي الذي كان يهدد المنصور، ووصول أخبار مقلقة لأحمد المنصور مفادها أن باشا الجزائر، طلب من السلطان العثماني غزو المغرب، أقبل السلطان السعدي على التقرب من الإسبان، والتحالف معهم ضد الأتراك، في اتفاقية مشروع سلام لمدة عشرين سنة[1] قد وقع المنصور المعاهدة في عام 1581م، وكانت نصوصها عامة، ولكنها كانت ورقة ضغط لوح بها "أحمد المنصور" العثمانيين، وبقدر ما كانت كذلك، إلا أن بنود المعاهدة، لم تنفذ كاملة، واكتفى المنصور بافتداء جميع أسرى وادي المخازن البرتغاليين وتقدير المبالغ تثبت ذلك، أما النقاط الجوهرية، فقد تماطل عنها "أحمد المنصور"، مستغلا قضية المطالب بالعرش البرتغالي استغلالا لا نظير له، حيث زود الإنجليز بسلاح وفير، وساند ماديا الثورة العارمة في أراغون الإسبانية عام 1588 ،بحشده العساكر المغربية في موانيء الشمال.[2]

وقد كانت إسبانيا على علم بهذه الأعمال، بفضل جوسسة الأسيرين "مارين" (Marin)، وابن أخيه "ديقومارين" (Diegomarin)، إلا أنه فضل التريث، تخوفا من إثارة حفيظة الأتراك، وكسبا للوقت. [3]

- **مرحلة التوتر و الصراع: (995- 1012هـ/ 1587-1603م)**

وبحلول سنة 1595،حدث تبدل عنيف بالموقف الإسباني، فتوترت العلاقات الإسبانية المغربية، خاصة بعدما اقتنع ملك إسبانيا نهائيا بسوء نية المنصور، حينما رآه يقدم على تحصين العرائش بمساعدة إنجلترا.[4] ، ويتجلى ذلك التوتر، والصراع بين الطرفين فيما يلي:

أ- **الدعم الإسباني لثورة الناصر بن المولى عبد الله الغالب:**

(1)نفسه،ص144.

(2)محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص:99-100.

(3)نفسه، ص101.

(4)محمود علي عامر، محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى-ليبية)**، منشورات جامعة دمشق،2006/1999،ص64.

ساند "الناصر بن المولى عبد الله الغالب" أخاه المتوكل ضد عبد الملك السعدي و"أحمد المنصور"، أيام وقعة المخازن، حيث انتقل صبيحة الوقعة إلى معسكر البرتغال وبعد ضم هذه الأخيرة إلى المملكة الإسبانية سنة 1581م، وجد الناصر، الفرصة السانحة للاستنجاد بملك الإسبان، ضد المنصور، لكن فيليب الثاني، تشاغل عنه بسبب العلاقات الودية، بينه وبين المنصور في تلك الفترة، وانشغاله بمعركة "الأرمادا" التي كانت بين الإنجليز والإسبان.[1]

وفي نهاية هذه المعركة، التي انهزم فيها الأسطول الإسباني، أراد "أحمد المنصور" توجيه قوة عسكرية ضد الإسبان، إذ أمر حاكم تطوان "أحمد النقسيس" بالهجوم على سبتة يوم 22 محرم 997هـ/11 ديسمبر 1588، وفاجأت قوات المنصور ضواحي المدينة، التي كان معظم أهاليها الإسبان، قد خرجوا للنزهة، فانتصرت[2] القوات المغربية، وأسروا عددا كبيرا، وكادوا أن يستولوا على سبتة.

ردت إسبانيا على هذا الهجوم، بكسب الأميرين السعديين إليها "الناصر" و"الشيخ"، فنقلتهما من "لشبونة" إلى مدينة "كرمونا" الإسبانية "Carmona" في شهر ماي 1589، ثم بدأت في تحريض "الناصر" على إعلان الثورة ضد عمه أحمد المنصور.[3]

وفي يوم 28 شعبان 1003هـ/09 ماي 1595م، أعلن الناصر الثورة ضد عمه المنصور، ونزلت قواته في مدينة "مليلة"، ثم زحفت نحو مدينة "تازا" التي استولى عليها الناصر، بفضل انضمام بعض قوات المنصور إلى جيشه.

واتخذ الناصر جبال الريف الشرقي من المغرب، القريب من مدينة مليلة قاعدة له حتى يسهل على الإسبانيين تزويده بالمساعدات العسكرية.[4]

شكلت هذه الثورة تهديدا خطيرا على المنصور، الذي بذل جهدا كبيرا حتى تمكن من القضاء على الثورة، وعد انتصاره على الناصر انتصارا على إسبانيا التي كان متيقنا من تحريضها للناصر عليه وتقديم المساعدة له،[5] ولهذا ألقى القبض على السفير الإسباني في مراكش، وأمر بملاحقة الإسبان الموجودين في المغرب.

---

(1)جفري براون:**تاريخ أوربا الحديث**،تعريب علي المرزوقي،الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن 2006، ص202.

(2)أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص96.

(3)أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص193.

(4)عبد الكريم كريم: المرجع السابق، ص195.

(5)محمود علي عامر، محمد خير فارس: المرجع السابق، ص64.

أما "الناصر"، فقد تم اعتقاله بعد الهزيمة التي لحقت به قرب جبل "مدغرة" في معركة عظيمة، دامت ساعة و نصف[1]، ثم أعدم في سنة 1004هـ/1596م.

وبذلك تخلص أحمد المنصور من خطر كان يهدد حكمه في المغرب.

ب-**محاولات المنصور لاسترداد الأندلس**:

ظل حلم المنصور في استرجاع الأندلس يراوده، ومن أجل ذلك بذل كل ما في وسعه حيث استغل فرصة الصراع الإنجليزي والهولندي مع إسبانيا في معركة الأرمادا.

وانضم بقوته التي قدرت بـ:ثلاثة سفن مسلحة، ومحملة بالمؤن إلى الأسطول الإنجليزي والهولندي يوم 25 جوان 1596م، وكل ذلك من أجل إضعاف الإسبان وبعث أمله في فتح الأندلس.[2]

ومما سبق يمكن القول :

– عظم شأن المغرب، بعد معركة وادي المخازن، وازدادت هيبة المغرب في عهد أحمد المنصور، فتوالت عليه السفارات الأوربية، وتنافست في طلب وده.

– استطاع أحمد المنصور، بفضل دبلوماسيته، وممارسته لسياسة المراوغة في علاقاته مع الإسبان، أن يكسب الوقت الكافي لربح القضايا لصالحه، ولم يتمكن فيليب من تحقيق حلمه في انتزاع ميناء العرائش من المغرب.

– تلاعب أحمد المنصور بإسبانيا، يفسره يقين أحمد المنصور بالكره الشديد، والحقد الذي تكنه إسبانيا للإسلام والمسلمين، وهذا ما تأكدت منه إسبانيا عندما انضم إلى الحملة المعلنة عنها في سنة 1596م.

(1)Henery de castries :**Les Sources inédites de l'histoire du Maroc**,1Serie,dynaste saadienne,Archives bibliothéques de France,T2,éditeur Ernest leroux,Paris 1909,P224.

(2)أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق، ص191.

الفصل الرابع: علاقات المغرب الأقصى مع الجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي .

المبحث الأول: نظرة عن العلاقات السياسية للمغرب مع الجزائر قبل 1578م.

المبحث الثاني : العلاقات السياسية للمغرب مع الجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي .

المبحث الأول : نظرة عن العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع الجزائر قبل 1578م:

- ✓ العلاقات السياسية بين الوطاسيين والأتراك العثمانيين في الجزائر.
- ✓ العلاقات السياسية بين الأشراف السعديين الأوائل والأتراك العثمانيين في الجزائر.

أ. العلاقات السياسية بين الوطاسيين والأتراك العثمانيين في الجزائر:

بعد استنجاد أهل الجنوب في المغرب الأقصى بالسعديين، ومبايعة زعيمهم "أبو عبد الله القائم" لقيادة صفوفهم، تطلع السعديون لاقامة دولة لهم في المغرب، وتحينوا كل الفرص للقضاء على الوطاسيين.

ولما كانت القوة التي تحاول القضاء على الأسرة الوطاسية الحاكمة تشمل خطرا يهدد الأتراك العثمانيين في الجزائر، لأنهم يمثلون بفضل نسبهم الشريف الحكام الشرعيون في المغرب بدلا عن الأتراك الغرباء. فإن العلاقات السياسية للحكام الأتراك العثمانيين في الجزائر مع جيرانهم الوطاسيين في المغرب دون السعديين، اتخذت طابع آخر من العلاقات.

فبما تميزت العلاقات بين الأتراك في الجزائر مع الوطاسيين والسعديين الأوائل؟

اتسمت العلاقات السياسية للأتراك العثمانيين في الجزائر والوطاسيين بحسن العلاقات وهذا ما أبداه خير الدين في رسالة موجهة للسلطان الوطاسي، باستعداده التام بنفسه لأي مركز يريد مهاجمته.[1]

وفي عهد "حسن آغا"[2] خليفة خير الدين، مالت العلاقات نحو الفتور لإنشغال حسن آغا بحملة شارلكان الإسبانية، الموجهة ضده، ولم يكن بوسعه تقديم العون للسلطان الوطاسي الذي إنهزم أمام السعديين في معركة وادي العبيد في سنة 943هـ/1536م، وما لبثت العلاقات أن تحسنت بين الطرفين فور حصول الوطاسيين على الدعم العسكري في معركة درنة من طرف الأتراك العثمانيين، وتهديد الأخيرين للسعديين بإطلاق سراح السلطاني الوطاسي، لتدخل العلاقات مرة أخرى في نوع من التوتر لعدم غهتمام السعديين بالتهديد العثماني، إضافة غلى ميل الوطاسيين للتقارب والتعاون مع الإسبان، كما أن الأتراك العثمانيين لم يشاؤوا الدخول أكثر في علاقات متوترة مع السعديين.[3]

---

(1) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ج1، ص85.

(2) أصله من ساردانيا، وقع في قبضة قراصين الجزائر، وهو صغير، نشأ في حاشية خير الدين، وبقي في خدمته، ونظرا لخصاله عينه خير الدين خليفة له، توفي في السادسة والخمسين من العمر. أنظر مولاي بلحميس: المرجع السابق.

(3) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص87.

ب. العلاقات السياسية بين الأشراف السعديين الأوائل والأتراك العثمانيين في الجزائر:

لم تحظ العلاقات السياسية للأتراك العثمانيين في الجزائر مع الشراف السعديين في عهد "عروج" و"أبي عبد الله القائم" بالتسجيل، وربما ذلك راجع لضعف العلاقات بين الطرفين أو انعدامها تماما في هذه الفترة.[1]

وتعود أولى العلاقات بين أتراك الجزائر والأشراف السعديين غلى العقد الرابع من القرن العاشر الهجري/ العقد الخامس من القرن السادس عشر الميلادي، حيث تشير وثيقة برتغالية إلى وجود أتراك عثمانيين في صفوف السعديين منذ 935 هـ/1529م، ومشاركتهم في حصار سانتاكروز في 948هـ/1541م.[2]

وظلت العلاقات السياسية بين القوتين الإسلاميتين في عهد "أحمد الأعرج" 1517-1544 ودية، تميل إلى التعاون والتضامن ضد العدو المشترك مما أثار تخوف البرتغاليين الذين عملوا على إحباط التقارب بين الطرفين وعقد إتفاق سلام مع السعديين كاتفاق سنة 944 هـ/1537م. وبانتهاء مدة الإتفاق التي دامت ثلاث سنوات، عاد الصراع من جديد بين السعديين والبرتغاليين، ليكون النصر فيه حليف السعديين الذين حرروا أغادير 948هـ/1541م، آسفي وآزمور في نهاية سنة 1541، كما عززوا مازاكان وقواعدهم في الشمال.

وفي عهد "محمد الشيخ" [3]951- 964هـ/1544-1557م، اتخذت العلاقات السياسية طابعا آخر، حيث اتسمت بالتوتر والصراع أحيانا بين الطرفين وذلك للأسباب الآتية:

---

(1) نفسه، ص89.

(2) نفسه، ص90.

(3) ولد محمد الشيخ 893هـ. واستقر بسوس أين بايعه سكانها سنة 951هـ ودخلت البلاد في طاعته من تادلة إلى وادي نون، أنظر عن ذلك: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء لخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج9، دارالكتاب، ج5، الدار البيضاء، المغرب، 1955، ص21.

1. اعتبار العثمانيين سلاطين المغرب مجرد أمراء أو شيوخ قبائل تابعين لهم:

منذ أن ضم العثمانيون، الجزائر وتونس إليهم، أخذوا ينظرون إلى حكام المغرب الأقصى، نظرة شيوخ قبائل، وأمراء، لا سلاطين عظام، ودليل ذلك الخطاب، الذي وجهه السلطان العثماني في أوائل محرم 959 هـ/ جانفي 1552 يهنىء فيه محمد الشيخ بالملك بعد انتصاره سنة 956 هـ/1549 م، وقد سماه في الخطاب بشيخ العرب، وبنبرة فيها أمر، وشدة، مما أغضب السلطان السعدي، وأوشك على قتل الرسول، كما هدد بغزو مصر، ولقب السلطان العثماني بسلطان القوارب والحواثة،[1] وكاد ذلك أن يؤدي بالسلطان العثماني لغزو المغرب.

2. تنافس السعديين و العثمانيين على الخلافة:

كانت الدولة العثمانية تعتبر نفسها حامية حمى الإسلام، وأنها الأحق بخلافة المسلمين، بينما وقف السعديون موقفا معارضا اتجاه ذلك، ورأوا أنفسهم الأولى بذلك لنسبهم الشريف، فتحدوا الأتراك، ورفضوا التبعية للباب العالي، وهذا ما بدا جليا في موقف "محمد الشيخ السعدي" 946 هـ/1539 م.[2]

3. عدم اعتراف السعديين بالسيادة العثمانية على الجزائر:

لم يعترف السعديون بالسيادة العثمانية، ورفضوا أي خضوع للدولة العثمانية حيث اصطدموا معها في العديد من المرات في الجزائر، وتدخلوا في العديد من المناطق الجزائرية منها غزو السعديين لتلمسان في 957-958هـ/1550-1551م، وذلك لأن "محمد الشيخ" كان يخشى من العثمانيين أن يجعلوها [3] قاعدة لغزو المغرب، وهو ما كان يرفضه محمد الشيخ، والسعديون تماما.

كذلك تدخل السعديون مرة ثانية في تلمسان في سنة 962-964هـ/1555-1557م، ومرة ثالثة في سنة 967هـ/1560م، حيث شهدت تلمسان في هذه السنة ثورة

---

(1) محمد الصغير بن الحاج الأفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق هوداس، باريس 1889م، ص79.

(2) جلول بن قومار: المرجع السابق، ص46.

(3) عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص141.

أهاليها ضد الحامية، ويبدو أنها بتحريض من "عبد الله بن محمد الشيخ"، انتقاما لإغتيال أبيه، ولكي يتدخل في المدينة أيضا.[1]

4. اغتيال محمد الشيخ 964هـ/1557م :[2]

رفض "محمد الشيخ" رفضا قاطعا الانضمام إلى العثمانيين، وكان معاديا لهم طيلة فترة حكمه، لذلك رغب العثمانيون في قتله، خاصة بعدما بلغهم موقفه منهم، وكانت فكرة قتله برغبة من حاكم الجزائر "حسن بن خير الدين" الذي بعث أحد ضباطه" صالح الكاهية" الذي أقنع محمد الشيخ، وقدم نفسه على أنه فار من الجيش التركي، والتحقت به العصابة التي بعثها الباب العالي، ورغم ذكاء الملك، إلا أنه الحقهم بحاشيته وعندما توجه "محمد الشيخ" إلى "تارودانت"، وتوقف "بأكلكال"، هاجمته العصابة فجأة واغتالوه، ثم حزوا رأسه، وحملوه إلى القسطنطينية.

وبقيت العلاقات بين البلدين تتسم بالحذر، والصراع أحيانا في فترة حكم "المتوكل" وابن أخيه عبد الملك، حيث اعترف الأول بالسيادة العثمانية، لكن الوعود العثمانية لعبد الملك في أحقية الملك، أجبر الدولة العثمانية على أن تتدخل في الشؤون المغربية، فتصدر قرارا في 25 أكتوبر979هـ/11 فيفري 1572م مفاده تقسيم الملك بين القريبين، وهذا ما لم يرض المتوكل الذي استعان بقوة خارجية، وفي طليعتها الإسبان العدو اللدود للأتراك.

ومما سبق يمكن القول :

– أن العلاقات السياسية بين حكام الجزائر العثمانيين، والوطاسيين في المغرب، قد اتسمت بنوع من التذبذب في العلاقات، إذ كان الوطاسيون يميلون تارة إلى حكام الجزائر، للاستفادة من هيبة الأتراك العثمانيين تجاه خصومهم السعديين، وتارة أخرى يميلون إلى القوة المسيحية العظمى المتمثلة في الإسبان والبرتغاليين.

– أما العلاقات الجزائرية مع السعديين، فقد مالت في بداية الأمر نحو التعاون ضد العدو الأيبيري المشترك، وتحرير الشواطئ المغربية، والشواطئ الجزائرية، ومساعدة مسلمي الأندلس، لكن ما لبث أن اتجهت نحو التوتر، والصراع، نتيجة للتدخل العثماني السافر في النزاع الوطاسي السعدي، وإيواء بعض الأمراء المغاربة مستقلا عن الدولة العثمانية، وكان ينظر إليها نظرة خطر يهدد حكمه في البلاد.

---

(1)عمار بن خروف: المرجع السابق، ص178.

(2)نفسه: ص ص:198-194.

– وكان حرص الإسبان، والبرتغاليين قد ساهم بشكل كبير في تأليب العلاقات السياسية بين حكام الجزائر، والسعديين، وذلك من أجل ضمان بقاء المغرب منفصلا عن الدولة العثمانية، وعدم الوحدة التي تهدد بقاءه على السواحل المحتلة.

المبحث الثاني: علاقات المغرب الأقصى السياسية مع الجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي:

كانت الجزائر أولى الدول حرصا لدى "أحمد المنصور" في إقامة علاقات سياسية معها وذلك بحكم قرابة النسب، والجوار، ووحدة العقيدة والدين...

فبما تميزت العلاقات السياسية بين المغرب الاقصى والجزائرخلال فترة حكم أحمد المنصور؟

كانت الجزائر في الفترة التي كان فيها "أحمد المنصور" سلطانا على المغرب الأقصى إيالة عثمانية، تابعة للحكم العثماني في اسطمبول، لذلك ارتبطت علاقات المغرب الأقصى بعلاقات الدولة العثمانية بالمغرب، ويمكن أن نلخص علاقات المغرب الأقصى مع الجزائر في المراحل الآتية:

– **مرحلة السلام القلق (986 –990هـ/1578–1582م):**

عندما تولى "أحمد المنصور السعدي" أمور الحكم في المغرب، بدت العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى، والجزائر، متوترة لتدخلهم السافر في تولية "إسماعيل بن عبد الملك"، بدلا من أحمد المنصور[1]، فبعد انتهاء المعركة حاول الموالون للأتراك من القادة الأندلسيين الإطاحة به عن طريق إثارة الجند،و تأليبهم عليه،كما كان جيش من أتراك الجزائر يتكون من (1800) جندي بقيادة "حاجي" جد إسماعيل بن عبد الملك، ينتظر في تلمسان منذ سنة 1578 الفرصة المناسبة للتدخل في المغرب، ولكن أحمد المنصور استطاع بمهارته السياسية أن يتحكم في زمام الأمور، ويدير الطاولة لصالحه، حيث شرع في إقامة علاقات ودية مع جميع الدول المجاورة للمغرب، والتي كان في طليعتها حكومة الجزائر، التابعة للدولة العثمانية.[2]

بدأت العلاقات بين المغرب الأقصى، والجزائر في عهد أحمد المنصور، حينما بعث هذا الأخير سفارة إلى الجزائر، وأخرى إلى القسطنطينية، فور المبايعة له لإعلام السلطان العثماني

(1)عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص304.

(2)عمار بن خروف :**العلاقات السياسية**، المرجع السابق ،ص213.

مراد الثالث (982-1004هـ/1574-1595م)، والي الجزائر حسن فنزيانو[1]، بالانتصار على الحملة البرتغالية، وتربعه على عرش العرب.

وبهذه المبادرة من أحمد المنصور، افتتح السلطان العثماني علاقاته مع "أحمد المنصور" بإرسال سفارة تهنئة، تحمل هدايا، وعن استقبال المنصور لهم يقول الوافراني: «تثاقل المنصور عنهم وتركهم بحضرته مهملين»[2] ويبدو أن تعمّد أحمد المنصور إهمال الوفد العثماني لعدة عوامل أهمها:

1. موقف الأتراك منه ساعة بيعته، وتآمرهم مع بعض قادة الجيش للإطاحة بحكمه في الشهر الأول من توليه.

2. الاتصالات التي كانت لهم مع داود بن عبد المؤمن.

3. ايوائهم للأمير "إسماعيل بن عبد الملك" في الجزائر.

فكل هذه العوامل باعدت بين أحمد المنصور، والوفد العثماني، ودفعته للتشاغل عنهم، ويختلف الفشتالي في قوله عن الوفراني تماما، حيث يقول: «ولقاهم مبرة التكريم، واختار النزل والإرغاد».

وعلى ما يبدو، فإن سبب انشغال أحمد المنصور عن الوفد العثماني، هو مضمون الرسالة التي بعثها السلطان العثماني إليه، يطلب فيها شمال المغرب نصيبا "لإسماعيل بن عبد الملك"، كما يطلب منه مساعدته في تحرير وهران من الإسبان، ويدعوه للاعتراف بالسيادة العثمانية.[3]

وفي نفس الوقت يدعوه للزواج من إحدى بناته، فيقول في ذلك: «عهدنا إلى أمير الأمراء... أن يصهر لكم إحدى بناتنا ... اسعافا لغرضك المنيف»[4]

ولما كان أحمد المنصور حريصا على بقاء المغرب مستقلا، فإنه تأخر عن رد الجواب للسلطان، وأخذ في التقرب من الإسبان، ليكونوا له عونا أثناء أية محاولة للعثمانيين في ضم المغرب.

---

(1)أنظرعنه :عمار بن خروف: المرجع السابق، ص110، وعبد الرحمن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص99.

(2)Mohamed Essechir Ben El Hadj Ben Abdallah Eloufrani :**Nozhet-Elhadi**, Histoire De la Dynastie Saadienn Au Maroc (1511-1670), Paro Houdas ,1889,P151.

(3)عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص214.

(4)محمد سي يوسف: **أمير أمراء الجزائر علج علي باشا**، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2009، ص230.

أثار تأخر أحمد المنصور عن الجواب، وتقربه من الإسبان، غضب السلطان العثماني ووجد من بأنفسهم، رغبة في ضم المغرب الفرصة لإيغار قلب السلطان "مراد الثالث" في فتح المغرب، ومنازلة السلطان أحمد المنصور، وكان في مقدمة هؤلاء المتآمرين وزير البحر العثماني علي علوج، الذي يقولعنه الناصري في كتابه الاستقصاء:«فكان وزير البحر العثماني، واسمه علي علوج يبغض المنصور، فلم يزل يسعى به السلطان، ويذكره ما كان من أبيه الشيخ من القدح في ولاية الترك والطعن عليهم، وقال له في ذلك: قد ضاع صنيعك في هذا الغادر وصنيع والدك من قبل، ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب ويهون عليه أمر المغرب حتى أذن له في توجيه العمارة إليه، ومنازلته، والأخذ بآفاقه إلى أن يستأصل أمر المنصور ويخمد جمرته.»[1]

وجاء رد السلطان العثماني على تثاقل المنصور عن جوابه، وتقربه من الإسبان أن "رمضان باشا" [2] واليا على تلمسان، وكلفه بالعمل على احباط أغراض المنصور، وشن حرب عليه، وطرد من مملكته، فكانت أولى أعمال "رمضان باشا" عند دخوله الجزائر في 1580/04/04، إثارة "داود بن عبد المؤمن" ضد عمه المنصور في رسالة جاء فيها :«ولما عزمنا الآن القدوم إلى مدينة تلمسان، فأول ما سألنا عن أحوالكم، وأين استقر مقاكم لكي ننشيء معكم عهدا تقادم لنا مع أسلافكم، فبعثنا هذا المكتوب لعلكم تعلمونا في جوابكم لنا بما عندكم من مأمول ومرغوب، فلا تغيبوا عنا شيئا، من مقاصدكم السنية.»[3]

ولم يكتف رد فعل السلطان العثماني على تقرب المنصور من الإسبان بتكليف رمضان باشا لإحباط المنصور، بل أرسل السلطان قليج علي باشا على رأس أسطول قوامه ستون سفينة عام 989هـ/1581 م إلى المغرب، وكان هدف الحملة هو وضع حد لتصرفات المنصور الذي كان يريد أن ينازع الدولة العثمانية حتى في خلافة المسلمين، إذ يرى أنه أحق بها من الدولة العثمانية، ولكن بمجرد سماع المنصور بخروج قليج علي من إسطنبول، سارع إلى تدارك الموقف، وأرسل مبعوثا إلى إسطنبول محملا بالهدايا الثمينة لإرضاء السلطان حتى يوقف الحملة الموجهة ضده.[4]

---

(1)أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص95.

(2)أصله من جزيرة سردانية، وقع أسيرا بد تاجر تركي، فهذبه وعلمه... ونظرا لذكائه وحميد أخلاقه، ترقى في مناصب الإدارة إلى أن ولي رئاسة حكومة الجزائر سنة 981هـ/1574م، فكان عهد ولايته عهد سعادة، وازدهار، نقل من الجزائر إلى ولاية تونس سنة 985هـ/1577م، للمزيد أنظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص216.

(3)عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص216.

(4)محمد سي يوسف: المرجع السابق، ص231.

ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة في نوع العلاقات بين سلطان المغرب الأقصى وسلاطين الجزائر العثمانيين هي:

- **مرحلة السلام الحذر:(990-1012هـ/1583-1603م):**

مالت العلاقات السياسية بين حكام الجزائر، وحاكم فاس "أحمد المنصور" الملقب بالذهبي في سنة 1581م إلى السلم، بعد أن أرسل هذا الأخير هيئة سفارة إلى إسطنبول برئاسة " علي بن وداد الفرمي"، والكاتب "أبو العباس أحمد بن يحي الهوزالي"، الذي أقنع السلطان العثماني "مراد الثالث" بقبول اعتذار أحمد المنصور في تأخره عن رد الجواب.[1]

ومهما يكن من أمر فإن السلطان مراد الثالث، قد غض الطرف على ما بدر من المنصور، وعفا عنه، فأرسل أوامره إلى قليج علي [2] بعد القيام بأي عمل ضد المغرب حتى تأتيه أوامر جديدة.

وبالرغم من أن السلطان العثماني لم يكن مطمئنا لتصرفات أحمد المنصور، حيث أكد على قليج علي، وحسن فتزيانو بالتزام اليقظة، والانتباه حتى لا يفاجئهما أحمد المنصور بغارة مشتركة مع الدول المسيحية، فإنه كان حريصا على إبقاء العلاقات حسنة بينهما، ونستدل بذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إليهما، ومما جاء فيها: «..كما آمركم أيضا بتقديم، واظهار الاحترام لحاكم فاس ومراكش، وكذا السفير عندما يصل إلى جهتكم...»[3]

وأرسل مع الهوزالي سفارة إلى أحمد المنصور، فاستقبلهم المنصور استقبالا حسنا[4]، وبعث بسفارة أخرى إلى السلطان العثماني في السنة الموالية سنة 1582م، عملت على تحسين العلاقات بين الطرفين.

ويعزو المؤرخون تصرف أحمد المنصور بذلك إلى سببين:

أما أن الأخبار التي كانت تصل إلى إسطنبول عن صداقة المنصور بالمسيحيين، وعن رغبته في التخلص من التزاماته لدى السلطان كانت أخبارا كاذبة، وإما أن هذه الأخبار

---

(1)سامح عزيز ألتر: المرجع السابق، ص260.

(2)علج علي، كان كلبريا من أسرة تحترف صيد السمك، اعتنق الإسلام، واتخذ لقب علج علي، استغل فرصة ضعف إسبانيا في مواجهة ثورة المورسكيين لتحقيق هدف عظيم هو توحيد كامل بلاد المغرب، شارك على رأس الأسطول الجزائري في معركة ليبانت Lapant التي خرجت منها القوات البحرية الجزائرية سالمة.للمزيد أنظر:سلفاتور بونو:"**العلاقات بين الجزائر و إيطاليا**"، ترجمة أبو القاسم بن التومي، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، عدد6،1972 م، ص102.

(3)Mohamed Eloufrani :Op .cit,P153.

(4)محمد سي يوسف: المرجع السابق، ص ص232،.233

كانت صادقة، إلا أن المنصور لم يكن ينتظر تحرك الباب العالي بهذه السرعة، ومن المحتمل كذلك أن أصدقاءه الأوربيين لم يكونوا مستعدين لنجدته، ففضل كسب الوقت، وإرضاء السلطان، ريثما يتمكن من التخلص نهائيا من هذه التبعية التي كان يشعر بثقلها.

ظلت العلاقات السياسية بين البلدين حسنة طيلة سنة 1582، وهو وهو ما ذكره "البوريني" في كتابه تراجم الأعيان عن سعي " أحمد المنصور" جاهدا في مسالمة الأتراك قائلا: «... وهو موادع لسلاطين الزمان آل عثمان، فيرسل إليهم الهدايا السنية في كل سنة، وهم يرسلون إليه المكاتيب، والخلع المستحسنة...كتب له السلطان مراد بن سليم ... ولك على العهد أن لا أمد يدي لك إلا للمصافحة...»[1]

وساعد حسن العلاقات بين البلدين إلى تخلي" أحمد المنصور" عن موقفه في تسليم العرائش إلى إسبانيا.

وبحلول سنة 1583م، وتولي "حسن باشا" مقاليد الحكم بعد وفاة علج علي، فإن العلاقات مالت نحو السلام الحذر، والتوتر أحيانا، ذلك أن "أحمد المنصور" لم يطمئن لحسن باشا الذي ظل مؤيدا "لإسماعيل بن عبد الملك" في أحقية تقسيم "أحمد المنصور" معه الملك.

وعاد "أحمد المنصور" ثانية للتحالف مع الإسبان، والاتفاق معهم على تسليم ميناء العرائش، مقابل مساعدة "فيليب الثاني" له في التخلص نهائيا من خطر الأتراك ونتيجة للضغوط العثمانية، والإنجليزية على "أحمد المنصور" في عدم تسليم[2].

- **مرحلة السلام الدائم: (995-1012هـ/1587-1603م):**

تميزت العلاقات بين "المغرب الأقصى" خلال هذه المرحلة، بالميل نحو السلام الراسخ، والوفاق، والوئام، وخاصة بعد رحيل "حسن باشا" في سنة 1587م إلى "إسطنبول"،ثم وفاته هناك في سنة 1591م، فترددت الرسائل، والسفارات بين حكام البلدين[3]، بل والأكثر من ذلك أن رغب السلطان "مراد الثالث" في عقد حلف مع "المغرب" يستهدف بالدرجة الأولى غزو إسبانيا، واستعادة الأندلس، ومما جاء في هذا الحلف :«... ولما وصل لمسامعنا الشريفة ومشاعرنا الخاقانية المنيفة خبر طاغية قشتالة وأنه احتوى على سلطنة بلاد البرتغال أوكاد وأنه جعل أهلها في الأغلال والأصفاد، وإنه لكم جار وعدو مضرار حركتنا الحمية

(1)الحسن بن محمد البوريني: **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق،1959م، ج1، ص221.

(2)عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص231.

(3)نفسه، ص231.

الإسلامية، لإظهار الألفة الأزلية أن تتخذ عهدا ونؤكد أن المملكتين محروستا الجوانب، ونعلق العهد بالكعبة المنورة والحوضة المعظمة فإذا تم هذا الشأن نوجه إليكم ثلاثمائة غرابا سلطانية، وجيش عز ونصرة وكماة عثمانية تستفتح بها إن شاء الله بلاد "الأندلس"...»[1]

وأجاب "أحمد المنصور" عن ذلك برده:«لعل في ذلك اجتماع كلمة الإسلام إن شاء الله بهذا الصلح الذي آن أن ينعقد بين الدولتين، ويبرم حكمه بين المملكتين عونا على صرف العناية بحول الله لمجاهدة عدو الدين...»[2]

وجاء في رسالة ثانية:«فما ربكم بهذا الجناب الرفيع مقبولة، وأسباب التسيير إن شاء الله موصولة، وإشارتكم إلى ما لجنابنا العلوي من الجلال، بالمثابة العثمانية الطاهرة الخصال،نعم إنها الرحم الإسلامية، ومؤاخاة دينية تزداد خلوصها...»[3]

كما بعث "أحمد المنصور" رسالة للحاكم التركي في الجزائر جاء فيها:«إعلموا إن آنستم في جانب الكفرة دمرهم الله عمارة تنشأ أو أسطولا يؤم ناجيتكم واحتجتم إلينا فنحن بحمد الله بأنفسنا وأموالنا وأجنادنا موجودون ينصركم على أتم أهبة واستعداد....»[4]

ولعل من الأسباب التي ساهمت في ترسيخ السلام في هذه المرحلة ما يلي :

1. تفرغ الدولة العثمانية لجبهتي"فارس"، و"أوربا الشرقية"، "المشرق العربي"، و"أسيا الصغرى".[5]

2. ضعف قوة حكام"الجزائر"، مقارنة بالحاكم السابق "حسن فنزيانو"، وميل الأوضاع في "الجزائر" إلى التوتر والاضطراب.

3. تنامي قوة المنصور بعد معركة "وادي المخازن"، وتخوف "الدولة العثمانية" من صعوبة الاشتباك في حالة إعلان الهجوم على المغرب.

4. اهتمام "أحمد المنصور" بغزو "تيكورارين" في سنة 1589، وإرسال حملة في مطلع 999هـ/1590م لاحتلال بلاد "السودان الغربي".

ولكن رغم تطور العلاقات،إلا أن البلدين لم يستفيدا من بعضهما في حل بعض القضايا، والمشاكل الداخلية، التي واجهتهما،مثل :ثورة الناصر في المغرب ضد "أحمد المنصور" ، وحملة أندري دوريا على الجزائر.[6]

---

(1)محمد الغربي: المرجع السابق، ص95.

(2)نفسه: ص96.

(3)نفسه: ص96.

(4)نفسه: ص95.

(5)عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص236.

(6)عمار بن خروف: **العلاقات السياسية**، المرجع السابق، ص236.

ومما سبق يمكن القول:

– إن تقرب السعديين من الإسبان، ومهادنتهم للبرتغال، وخاصة في عهد محمد الشيخ،جعل العلاقات بينه، وبين الحكام العثمانيين في الجزائر تميل إلى طابع العداء والصراع.

– إن الصراع حول الخلافة، تحكم في كثير من الأحيان في نوعية العلاقات بين الطرفين.

– إن العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد "أحمد المنصور السعدي" مرت بمراحل مختلفة، وقد ساهمت إسبانيا بشكل كبير في تسيير خصائص هذه المراحل وإعدادها.

– رغم تطور العلاقات السياسية بين الجزائر، و المغرب الأقصى أواخر عهد "أحمد المنصور السعدي" واتسامها بالسلام الدائم، إلا أنها لم ترق إلى المستوى المطلوب في التعاون الفعلي بينهما.

الخاتمـــــة

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة لموضوع العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع إسبانيا. والجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي الذهبي، توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن إبرازها فيما يلي:

1. إن الوضع السياسي المتمزق، والمتأزم هو الذي جلب إلى المغرب العربي الأطماع الأجنبية، فوقعت ثغوره تحت الاحتلال البرتغالي، والاسباني، وأصبحت المدن الأخرى مهددة بالاحتلال.

2. إن معركة وادي المخازن عززت مكانة المغرب الدولية، بوصول شخصية قوية للسلطة، تمثلت في أحمد المنصور السعدي.

3. توجيه العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع إسبانيا والجزائر كانت بيد السلطان أحمد المنصور السعدي، الذي كان بمثابة اللاعب المراوغ في الملعب، ولإصابة الأهداف. تعامل بذكاء، وحنكة سياسية في علاقاته، وتعامله مع البلدين فاقت سابقيه ومن جاء من بعده. فالمولى إسماعيل كان وفيا أمام وعوده الخارجية، بينما تميزت سياسة أحمد المنصور في علاقاته مع الدول الخارجية بالمماطلة والتسويف ، والمهادنة.

4. رغم الظروف الصعبة التي أحاطت بأحمد المنصور، سواء ضغوطات إسبانية في الحصول على ميناء العرائش، أو جزائرية في محاولات لضم المغرب، وتوحيدها تحت خلافتها، أو داخلية كثورة "الناصر"، و"عبد المؤمن بن داود" إلا أنه استطاع وبقوة الحفاظ على استقلال المغرب وسلطته عليها إلى غاية وفاته في سنة 1012هـ/1603م.

5. أن علاقات المغرب الأقصى السياسية مع الجزائر كانت تتأثر بعلاقات المغرب مع الدولة العثمانية، وكذا بعلاقاته مع إسبانيا فإذا تحسنت علاقات المغرب مع إسبانيا استاءت مع الجزائر وهكذا...الخ.

6. من خلال دراسة العلاقات للمغرب مع اسبانيا والجزائر، فإنني أستنتج أن أحمد المنصور السعدي لم ينحاز لدولة دون أخرى، وهذا راجع لتخوفه على مصالحه، لقوة البلدين اللذين له علاقة معهما.

وفي الأخير أعتقد أن بحثي لا يخلو من النقائص، فأرجو أن يكون هناك باحثون من يهمهم إكمال الدراسة.

الملاحـــق

الملحق رقم (1)

رسالة السلطان العثماني مراد الثالث إلى السلطان السعدي أحمد المنصور التي يعرض فيها التحالف على هذا الأخير، وهي بتاريخ 988هـ/1580م.

هو المعين. هذا كتابنا الشريف، العالي، السلطاني، وخطابنا المنيف، السامي الحقاني، لا زال نافذا، مصونا عن التحريف بالعون الرباني. أصدرناه وأرسلناه منطويا على تصنيف ما أسلف أسلافنا عن إتحاف تحق تحيةً زكيةً في بحر الوداد، وإهداء هديةً يتيمةً ثمينةً من بحر الاتحاد إلى جناب العالي، الأميري، الكبيري، المولى، الهمامي، الحسني النسبي، نسل السلالة الهاشمية، فرع الشجرة الزكية، النبوية، طراز المثابة العلوية، نصير جيوش المسلمين، ظهير جيوش المجاهدين، المحفوف بصنوف عواطف الملك المعين، سيد الملوك والسلاطين، بن خاتم النبيين، الشريف مولاي أحمد، بن الشريف، مولاي الحاكم يومئذ بمراكش وفاس- دام سعده وعلاه مصونا بعون ملك الناس.

ينهي إليه ويوضع مضمون ما اندرج فيه، ويعرف ويفصح مكنون ما اندرج في مطاويه، وهو أن الله- تعالى، عز شأنه عما يقولون- لما أظهر، بمقتضى حكمته البالغة، ما أضمن في مكامن سره المكنون، وخص بنوع الإنسان بين سائر الأنواع، أن يكون مدنيا بالطبع، محتاجا في التعايش إلى التعاون والاجتماع، وجعل نظام التعاون بينهم مربوطا بالتعادل الذي اتفق عليه جميع الأوضاع، ليندفع الشارع فيما تشتهي أنفسهم وينزع النزاع.

أرسل من عنده عبده ورسوله سيد الأنبياء والرسل ليبين لهم مناهج الدين وأقوام السبيل. ثم استخلف عنه خلفاءه الراشدين، رضوان الله-تعالى-عليهم أجمعين. ثم جعل كلا من سلاطين أهل الإسلام و لمسلمين، عضد الملة والدين. فتسلسلت سلسلة الانتظام إلى هذا الحين. أيد الله ذلك النظام أبد الآبدين، وأيدنا، وإياكم من تلك الزمرة، وأتانا من لدنه سلطانا نصيرا ومشرفا بذكرنا وذكر اسمكم الشريف في كل قطر منيرا وسريرا. وسلم إلينا من عنده التسليم، بخفي لطفه العميم مقاليد جمهور الأمور، وأجرى أحكامنا وأحكامكم من عمل كرمه الجسيم، متضمنة لأمور الجمهور. فنجح بأمره إلى مبايعتنا بالسلطنة الزاهرة ومتابعتنا بالخلافة الباهرة جميع أئمة الدين والعلماء العلامة، وجماهر أرباب العقد والحل، من الولاة والحكام، وكل من سار ودار، وتوطن في المدائن والأمصار، من ممالك الشرق والغرب، وممالك السلم والحرب. فتحنا أبوابنا العالية الأعتباء، من جهة المعادات والمصادقات، على وجوه الأعادي والأحباب، وأثرنا متابعة أسلافنا الطاهرة، الذين جمعوا بإصلاح ذات البين، وبين خيري

الدنيا والآخرة، في حب من يكن على الرشد والسواد، خصوصاً من ألقى إليه إذا مات العبد. ومن مؤمن نسل الشجر التي تظل الركع والسجد.

فلما وصل بمسامعنا الشريفة ومشاعرنا الحقانية المنيفة، خبر طاغية قشتله، وإنه احتوى على سلطنة برتقل أو كاد، وإنه جعل أهله في الأغلال والأصفاد، وإنه لكم جار، وعدو مضرار، حركتنا الحمية الإسلامية، والمعرفة الأولية، في النشأة الجنودية لإظهار الألفة الأزلية، في العوالم الشهورية، إذا صارت قلوب الملوك جنود المجندة التعارف والتناصر، والائتلاف، انعقد الإجماع على خلوص المودة وارتفاع الخلاف.

فخلاصة الكلام بهذه التقدمة، نتيجة المرام من تلك المقدمة، هو أن نتخذ عهدا وثيق البيان، ومحبة خالصة بين الإخوان، بين الأولاد والأحفاد إلى آخر الجوار ،مع مملكتنا الشاسعة الأقطار، ونؤكد أن المملكتين محروستا الجوانب والأطراف، من سوء الشقاق والاختلاف، ومعمورتا الأرجاء، بالوفاق والائتلاف، ونعلق العهد بالكعبة المنورة والحوضة المعظمة.

فإذا تم هذا الشأن، وأسس هذا البنيان، صفى ما بين الإخوان، توجه نوجه لكم ثلاثمئة غرابا سلطانيا وجيشي عزو نصر، وكماة عثمانية، ستفتح بها- إن شاء الله- بلاد الأندلس، ويكون على أيديكم إنقاذها من البؤس.

والله تعالى لا يخلي أفق الملكتين من أقمارها المنيرة، ويجعل ثغور الثغور ببقائها ضاحكة مستبشرة، إن شاء الله تعالى.

والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، تحريرا بأوائل رجب الفرد من عام ثمانية وثمانين وتسعمائة. المقام بقسطنطينية المحروسة [1].

[1] أنظر: عمار بن خروف: المرجع السابق، ج 1، ص ص 249 250.

الملحق رقم (2)

رسالة السلطان أحمد المنصور إلى
العلج علي وزير البحرية العثمانية وبايلرباي الجزائر.

المثابة التي لها في تدبير الأساطيل الجهادية الخاقانية الأثر المشهور، والمكانة التي لقدرها في الأبواب العثمانية التنويه المسموع والصيت المذكور، الحازم الذي لا ينفك ممتطيا لنكاية الكفرة متون البحور، و الأصيل الذي له في إيثار الجهاد السند المروي والخبر المأثور، مثابة القبطان المعظم، الماجد المكرم، الأجل الأفضل، الأحفل الأكمل، الأثير الأحظى، الأصيل الأرضى الأزكى الأسمى العماد الأحمى، الأرفع الأصعد، الأنوه الأمجد، الخطير النزيه المعتبر الوجيه، الأود الأحب، الأنجد الأنجب، الأثيل الأوحد، الأسنى الأسعد، أبي الحسن علي باشا أبقاه اللهو همته مصروفة إلى الاعتناء بتجدد القطائع والشواني، ولازال رفيع المكانة بذلك الجناب المؤيد العثماني، سلام كريم طيب النفحة، رائق الصفحة، يعتمد جانبكم ورحمة اللهو بركاته.

أما بعد حمدا لله الذي باسمه العظيم تفتح المبادي، وبقدرته تم التصرف لكل رائح وغادي، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء والرسل، والذخيرة العظمى التي هي للجنات غاية التوسل، وعلى آله بدور كماله، وعصابة فخره وجلاله، وأصحابه الذين أوضحوا الشرائع وأرهفوا للمكافحة معه السيوف الروائع، فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم من صالح الأعمال ما تحمد عاقبته في المآب، وسنى لكم من المساعي الجميلة ما يؤكد حظوتكم بذلك الجناب، من حضرتنا العلية، ومجمع عساكرنا العلوية فاس- حرسها الله- ولا ناشئ بفضل الله إلا ما عوده لهذه المثابة الحسنية من المواهب الجزيلة الجماء، والعوارف المستوعبة لإجزاء النعماء، لله المنة .

هذا ودرر ودكم كانت تقذفها إلينا على البعد أمواج البحار، وعرف ولائكم مازالت تهديه القلوب على شحط الدار، نسمات الأسحار، وعقائد أخلاصكم بلسان الاشتهار هنا وهناك في القديم تتلى، وعقائل مصافاتكم على منصات الوفاء تجلى، والاعتقاد الجميل بجنابكم صار لنا قبـــل دأبا وديدنا، وعلى دعائمه الثوابت كنا أسسنا عهدنا، والاجهار بموالاتـــكم كان أمره مستفيضا والحب في الله على الدوام يلوح لنا من تلقائكم وميضا، إلى أن ورد خبر التحرك الذي كان لكم لهذه الناحية، والاحتفال الذي استنهضتم له هناك الغاشية، من أهل الحاضرة والبادية، فتأدى إلينا عنكم أولا على وجه كان الظن بكم خلافه، وعلى تاويل ماكنا لنعتقد بكم فيه إتباع الهوى وإسعافه ومازلنا ونحن نستغرب لشنآنكم، ذلك داعية وسببه، وتجردكم للعدوان، لا لأمر اقتضاه وأوجبه، ونجيل التفكير في إستحالة ودادكم إلى ضده، وانتقال الحب في الله الراسخ عن عهده، وتكدير منهل الإخلاص بعد صفاء ورده، وإنتقاض حكم الولاء بعد تعديل شهوده، وتسجيل عقده، إذ ورد على بابنا رسولنا الآنب من تلكم الأبواب العثمانية، والمؤدى لفضيلة الوقوف بتكلم العتبات الكريمة الخاقانية فلان

فأنهى إلينا بما تلقاه منكم، وصحت به روايته الثابتة عنكم. أن تحركك ذلك على ماحكيتم ما كان منكم لباعث نفسي، ولا لغرض كان لكم فيه مغوي ولاحسي، وإنكم فيه على غير هوى منكم ولا اختيار، محمولين في أمره من هناك على حكم التعسف والاضطرار، ومجبورين على ارتكابه جبرا ما أغضى عنكم فيه الاعتذار، وإنكم لو تركتم ومرادكم، وخليتم واعتقادكم، ما كنتم تضرمون أبدا لهذه الجهة نار فتنة ولا هرج ولا تركبون بقصدها للبحر ثبج، ولا للبرراحلة تمشي على عوج. فعندما قررلنا عنكم هذا النبأ المتأول، والعذر الواضح لمن تأمل، زال عن النفوس ذلك الامتعاض، واستحالت إلى المحبة القديمة الجواهر والأعراض، وبقي الود في الله إذ ذاك مصون المروءة والأعراض، فأنهينا إليكم خطابنا هذا صحبة رسولينا الموجهين لتلكم الأبواب العثمانية، والعتبات السلطانية، الشيخ الإمام، العالم الذي له على صهوات المعارف النزول والإلمام، الفقيه العلامة، المحقق الفهامة، المحدث المشارك الجامع، الأعراف الأذرى البارع، المرتدى من العفة والديانة رداء، والحامل من النزاهة والمروءة لواء، قاضي قضاة أفاقنا المغربية، وعساكرنا المظفرة العلوية، السيد أبي الفضل قاسم بن علي الشاطبي ورفيقه القائد الأرضى، والأوجه الأحظى، الأزكى الأسنى الأجل الأسمى، الأرفع الأرقى، الأبر الأتقى، الأنزه الأنقى الأنوه الأثير، الأفضل، الخطير، المعتبر المرعي، الأصيل السري، أبي زيد عبد الرحمن بن القائد الأمجد الأفضل، الأكمل، الأجمل، الأثيل الأحفل، الأصيل الأنبل، الوجيه النزيه، المعتبر النبيه الأخلص الأسمى، الأخلص الأسنى أبي علي منصور بن سعيد الموردى، وصل الله سعادتهما، وأنجح بمنه وقادتهما، لتعلموا منهما إن شاء الله أن ربع الوداد في الله مازالت تمطره من إخلاصنا عوارض هواطل، وتجوده من ولائنا سحائب تروض منه ذلك الجانب الماحل وتتعرفوا منهما أن داعي المحبة منا لداعي الجفاء على الدوام مناضل، وسيف التواصل بيننا لحبل القطيعة باتر، ورسم التجمل عندنا ليس بداثر، وجده كل حين لدينا غير عاثر، وحبكم في الله لازال يدعوكم بعون الله إلى الاعتناء بمن يرد من قبل هذه الأبواب، على سنى ذلكم الجناب، جريا على دأبكم الجميل المعتاد واعتناء منكم بهذا الجناب الاعتناء الواضح الأشهاد، والله تعالى يصل علاءكم ويديم بمنه بقاءكم، والسلام الأبر الأعطر عليكم [1].

[1] نفسه، ص ص 251 252.

الملحق رقم (3)

ملوك الدولة السعدية:

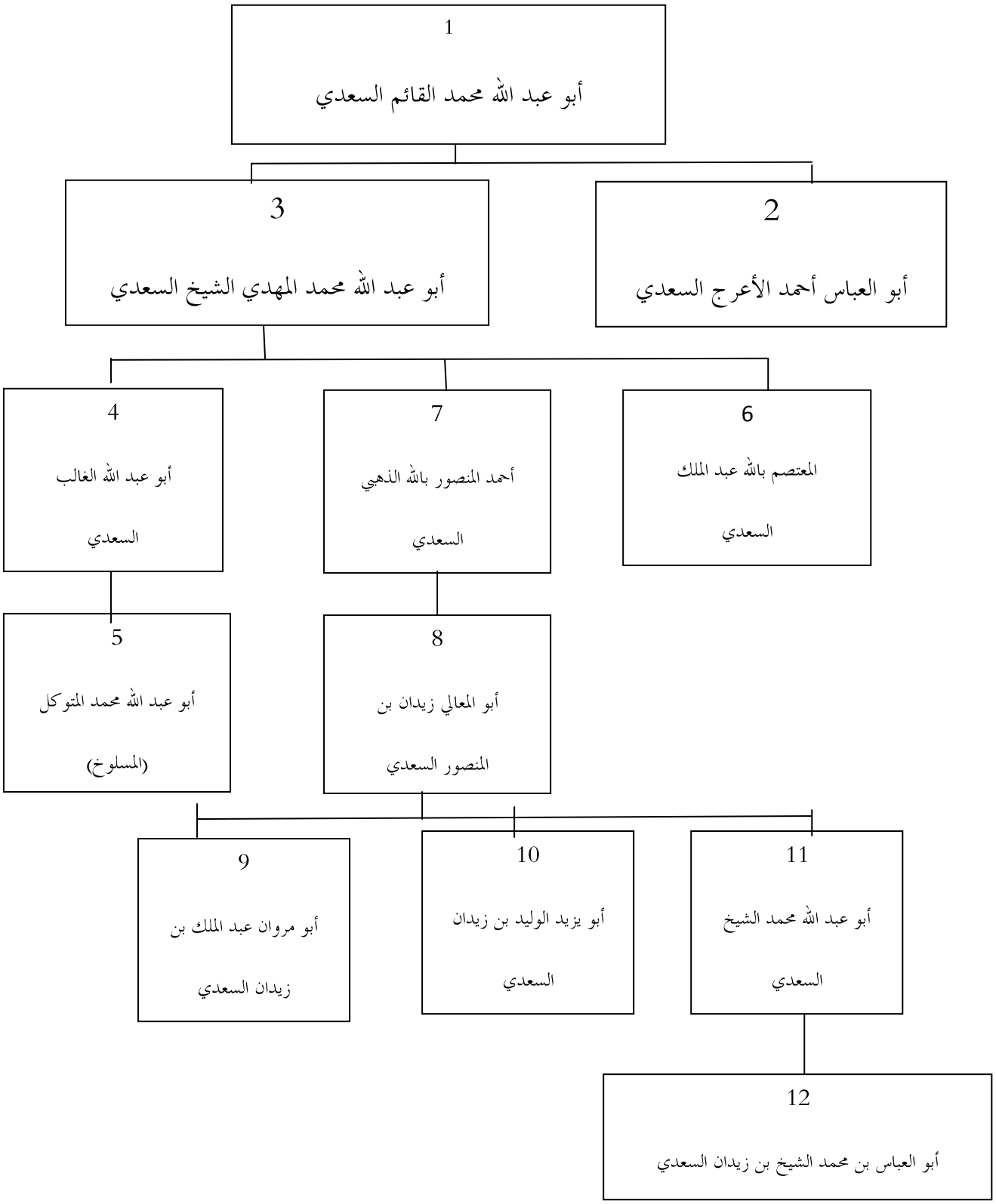

(**1**) محمد بن الطيب القادري: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و اثاني (موسوعة أعلام المغرب)**،تحقيق محمد حجي و أحمد توفيق،ط1،دار المغرب الإسلامي،ج3، بيروت ،1996،ص1134.

الملحق رقم (4):

الملوك و السلاطين المعاصرون لأحمد المنصور (حسب الدراسة)

الدولة	الحاكم	فترة حكمه
الدولة العثمانية	مراد الثالث محمد خان الثالث	1574م/1594م[1] 1594م/1603م
إسبانيا	فيليب الثاني	1556-1598م 1598-1621م

([1])إبراهيم بك حليم:**تاريخ الدولة العثمانية العلية**،مؤسسة الكتب الثقافية،ط1،بيروت ،1988،ص-ص:103-108.

البيليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

1_ القرآن الكريم

أولا: المصادر العربية

1_ البوريني الحسن بن محمد: **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ج1، دمشق، 1995.

2_ ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد:**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان،1971 م، ج7.

3_السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر: تاريخ السودان، طبعة هوداس، المكتبة الأمريكية للشرق، باريس، 1981.

4_ الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، د ت .

5_ الفهري أبو حامد العربي: **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن، دت.

6- المجهول: **تأريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط1,دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش1994م

ثانيا:المصادر المعربة:

1_دييقو دو طوريس : **تاريخ الشرفاء**، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، د ت.

2_ كاربخال مارمول لويس: **إفريقيا**، تعريب محمد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة ج2، الرباط، 1988 .

3_ الوزان الحسن بن محمد الفاسي: **وصف إفريقيا**، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر ط 2، دار الغرب الإسلامي،ج 1، بيروت، د ت

ثالثا: الوثائق والمراجع المنشورة باللغة الفرنسية

1- DE CASTRIES Henery : **Les Sources inédites de l'histoire du Maroc**, 1530 - 1845, dynastie Saadienne, Archive et bibliothèques de France, t1, Paris 1905.
2- DE CASTRIES Henery : **Les Sources inédites de l'histoire du Maroc**, 1 Séries, dynastie Saadienne, Archive et bibliothèques de France, T2, éditeur Ernest Leroux, Paris 1909.
3- DE LA VERONN GHANTAL : **LES SOURGESINE DITE de l'histoire du Maroc 1560-21 aout 1578**, dynastie Saadienne, Archive et bibliothèques d'Espagne, Paris 1961.
4- ELOUFRANI MOHAMED ESSEGHIR BEN EL HADJ BEN ABDALLAH : **Nozhet EL HADI**, histoire de La Dynastie Saadienne au Maroc (1511-1670), Paro Houdas, 1889.
5- DIEGO FRAY DE Haédo: **Histoire des Rois d'Alger**, traduite H,D Grammont, Alger, 1881.
6- HISTOIRE ET MEMOIRE : Fables de la mémoire, **La glorieuse bataille des trois Rois**, Annles HSS, Paris, novembre-décembre 1995.

رابعا : المراجع العربية والمعربة :

1_ الأفراني محمد الصغير بن الحاج: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**, ترجمة هوداس, باريس, 1889.

2_ ألتر سامح عزيز: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا, تعريب علي عامر, ط 1, دار النهضة العربية, بيروت 1989

3_ براون جفري: **تاريخ أوروبا الحديث**, تعريب علي المرزوقي, الأهلية للنشر والتوزيع عمان, الأردن, 2006

4_ بروكلمان كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**, تعريب أمين فارس ومنير البعلبكي ط4, دار العلم للملايين, بيروت 1965.

5_ بشتاوي عادل سعيد: **الأندلسيون المواركة**, دار المقطم للنشر والتوزيع, القاهرة 1983.

6_ بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط 2 ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر, 2009.

7 _ بوعزيز يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر 1999.

8- التازي عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ج10، مطابع فضالة، المحمدية، ج8، المغرب 1988.

9-الجمل شوقي عطا الله: **تاريخ المغرب الكبير**، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1977.

10-جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**، تعريب محمد مزالي، والبشير سلامة، دط، الدار التونسية، تونس 1978.

11-الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ط8، دار الأمة، ج3، الجزائر 2007.

12-حتاملة محمد عبده: **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد فيليب الثاني 1598-1568**، ط1، الجامعة الأردنية، عمان- الأردن 1982.

13-حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، ط1، دار الرشاد الحديثة، ج2، الدار البيضاء، المغرب 1978.

14-الحجي عبد الرحمن علي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ط2، دار القلم، دمشق 2008.

15- حومد أسعد: **محنة العرب في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت 1988.

16-بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، ج1، الجزائر 2006.

17-بن خروف عمار: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، ج2 الجزائر 2008.

18-أبو خليل شوقي: **وادي المخازن**، ط4، دار الفكر، دمشق، سوريا 1993.

19-خير فارس محمد: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال الفرنسي**، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت 1969.

20-السائح الحسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع بيروت – لبنان 1986.

21-سي يوسف محمد: **أمير أمراء الجزائر علج علي باشا**، دط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو 2009.

22-الشناوي عبد العزيز محمد: **أوروبا في مطلع العصور الحديثة**، دط، دار المعرف، مصر 1969، ج1.

23-الصلابي محمد علي: **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1 المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 2007.

24-الصلابي علي محمد: **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، ج2، دار الفجر للتراث، القاهرة، دت.

25-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج9، دار الكتب ج5، الدار البيضاء، المغرب 1955.

26-العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2007.

27-العسلي بسام: **الجزائر والحملات الصليبية**، طبعات مختلفة، دار النفائس، بيروت 1986.

28-العسلي بسام: **خير الدين بربروس (الجهاد في البحر) 1480-1547**، طبعات مختلفة، دار النفائس، بيروت 1986.

29-غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت 2005.

30-فرح دعاء وآخرون: **الحضارات في الذاكرة العالم العربي**، دط، 2003.

31-فريد محمد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط3، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر 2009م.

32-القادري محمد بن الطيب: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني (موسوعة أعلام المغرب)**، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، ج3، بيروت 1996.

33-قنان جمال: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830**، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1987.

34-كريم عبد الكريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية**، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب 1978.

35-المبارك بن محمد الهلالي الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، بيروت 1964.

36-المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1798**، وثائق ودراسات، دط، الجزائر، دت.

37-المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، دار البصائر، الجزائر 2008.

38- محمد كمال شبانة: **الدويلات الإسلامية في المغرب دراسة تاريخية حضارية**، ط1 دار العالم العربي، لاظوغاي، القاهرة 2008.

39- محمود علي عامر وخير محمد فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق، 2000/1999.

40-نوار عبد العزيز وجمال الدين محمد: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر، دمشق ج1، 1999.

41-ياغي إسماعيل أحمد: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 1996.

42-يحي جلال: **تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار**، دار النهضة العربية، بيروت 1981.

خامسا: المقالات والدوريات المنشورة:

- مجلة دعوة الحق المغربية

1- أعراب سعيد: **موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب**، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، عدد8، 1978.

2- بن تاويت محمد: **وثيقتان هامتان عن معركة وادي المخازن**، في مجلة دعوة الحق عدد8، 1978.

3- التازي عبد الهادي: **وقعة وادي المخازن بدون رقابة**، في مجلة دعوة الحق عدد8، 1978.

4- حجي محمد: المغرب في عهد الدولة السعدية، في مجلة دعوة الحق ، المغرب عدد5، 1980.

5- حجي محمد: المغرب في عهد الدولة السعدية، في مجلة دعوة الحق ، المغرب عدد5، أوت سبتمبر 1980.

6- كريم عبد الكريم: **من الوثائق النادرة لمعركة وادي المخازن**، في مجلة دعوة الحق عدد8، 1978.

7- المنوني محمد: **وثيقتان جديدتان عن ذيول موقعة المخازن**، في مجلة دعوة الحق عدد8، 1978.

مجلة الأصالة:

1- بونو سلفاتور: **العلاقات بين الجزائر وإيطاليا**، ترجمة أبو القاسم بن التومي،"مجلة الأصالة"، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، عدد6، 1972.

2- بلحميسي مولاي: **غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر والمصادر الغربية (948/1541 هـ)**.

سادسا: المعاجم والموسوعات:

1- الشيخ أبو عمران وآخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، دط، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.

2- الغنيمي عبد الفتاح مقلد: **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، بني حفص، وبني مرين، بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين، (دراسة في التاريخ الإسلامي)، ط1، مكتبة مدبولي، ج6، 1994.

3- مجموعة مؤلفين: **موسوعة الأندلس والمغرب العربي**، ط1، دار المدار الثقافية البليدة الجزائر، ج1.

سابعا: الرسائل الجامعية:

1- بن قومار جلول: **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا – البرتغال – إسبانيا – فرنسا** (986-1012هـ/1578-1603م) رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، 2010-2011م.

ثامنا: المواقع الإلكترونية:

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Ahmed_al_Mansur.jpg
12/06/2013,11 :30.

الفهارس:

1- فهرس الأعلام:

-أ-

أحمد الأعرج: 13-27-41-50.

أحمد الثالث:36.

أحمد المنصور:
26-30-31-32-33-35-40-42-43-44
-45-46-52-54-55-56-57-58.

أحمد-القائد:8.

أحمد الوطاسي:14.

أحمد النقسيس: 45.

إسحاق: 17.

إسماعيل بن عبد الملك:53-54.

إيزابيلا: 20-21.

إليزابيث: 28.

-ب-

أبي بكر: 14.

بيدرو غريرو: 24.

بيوس الخامس: 27.

-ج-

الجزولي: 11.

جون:10.

جين: 21.

-ح-

حاجي: 53.

أبو الحجاج يوسف: 21.

الحسن الزياني: 19.

أبو الحسن:20.

حسن آغا: 19-48.

أبو الحسن الشاذلي: 11.

حسن فنزيانو: 53-55-57.

حليمة السعدية: 12.

أبو حسون: 14-40.

أبو حمو الثالث: 17-18.

أبو حمو الوطاسي: 14.

حميدة العبد: 17.

-خ-

خير الدين: 15-16-17-18-49.

-د-

دالكوديت: 40.

داود بن عبد المؤمن: 55.

دو كادي بارسيلوس؛: 45.

دوريا (أندري): 58.

ديقو مارين: 46.

دييقو دوفيرا:17.

-س-

سالم التومي: 15-16.

سبستيان: 26-29-30-32-34-36-37.

سنان باشا:33.

-ش-

شارل الثاني: 36.

شارلكان: 19-23-36-40-50.

الشيخ: 47.

-ص-

صالح رايس:19.

-ط-

أبو طالب: 12.

-ع-

عبد الله الغالب: 41.

أبو العباس بن يحي الهزولي: 56.

أبو عبد الله محمد: 12-13-21-22.

أبو عبد الله محمد بن الحداد: 22.

عبد الرحمن الحفصي: 15.

عبد الملك السعدي:
26-28-30--32-35-36-42-43-51.

أبو عبد الله محمد القائم السعدي: 13-39-49.

عروج: 14-15-16-17.

-غ-

غارسيا دي لابلازا: 18.

-ف-

فرانسوا الأول: 23.

فرانسيسكو زونيخا: 42.

فرديناند: 20-21-22.

فيليب الثاني:
21-26-27-29-31-41-46-57.

-ق-

إبن القاضي: 18.

-ك-

كموينس: 29.

-ل-

لويس ماريا: 36.

-م-

مارين: 42-46.

مراد الثالث: 53-56.

المتوكل: 26-27-28-30-32-33-35-37.

محمد باشا: 33.

محمد الشيخ السعدي: 13.-14
-27-40-49-50.

المقري: 12.

-ن-

الناصر بن المولى عبد الله الغالب: 46-47.

نيقولا الخامس: 10.

-هـ-

هنري: 10-36.

-و-

الوزان: 11.

-ي-

يوحنا الأول: 9.

2- فهرس الأماكن والبلدان:

-أ-

أراغون: 20-45.

أزمور: 10-51.

إسبانيا: 19-20-23-28-39-48-57-58.

آسفي: 10-13-51.

إسطنبول: 57.

آسيا: الصغرى: 58.

أصيلا: 29-32.

أغادير: 10-50.

إفريقيا-شمال: 15-22-29.

أكلكال: 54.

إنجلترا: 46.

أوروبا-جنوب غرب: 15.

أوروبا الغربية: 22.

أوروبا الشرقية: 58.

-ب-

بجاية: 15-16-19-22.

البحر المتوسط: 22.

البرتغال: 27-28-33-34-36.

بسكرة: 19.

بلاكوس: 29.

البندقية: 27.

-ت-

تارودانت: 13-52.

تازا: 46.

تدنست: 13.

تفتنت: 14.

تلمسان: 17-18-40-41-51-55.

تنس: 15-16-19-22.

تونس: 14-16.

تيكورارين:59.

-ج-

جبال الرّيف: 46.

جبال القبائل: 16.

جبل البشارات:20.

الجزائر:
14-15-16-17-18-19-22-26-49-51
-53-55-56-58-59.

جيجل:16.

-ح-

حاحة: 13.

الحجاز:12.

حجر بادس: 10-22-38-40.

الحوضة المعظمة: 58.

-خ-

الخليج: 27.

-د-

درعة: 12.

درنة: 14.

-ر-

رأس الماء: 14.

الركن:26.

-س-

الساحل الإفريقي: 22.

سانتاكروز:23.

سبتة: 27-29-46.

السوس: 12-13-26.

-ش-

شرشال: 15-18.

شفشاون:9.

-ط-

طرابلس: 22-33.

-ع-

العرائش: 45-46-47-57.

الدولة العثمانية:
18-19-27-28-50-53-55-58.

عنابة: 20-23.

-غ-

غرناطة: 21-22-23-45.

غساسة: 11-40.

-ف-

فارس:59.

فاس: 8-11-13-14-26-40-44-56.

-ق-

قادس: 29.

القسطنطينية: 52-53.

القصر: 29-32-33-34.

القطاع الوهراني: 15.

قشتالة: 20-21-22.

قلعة بني راشد:17.

قلعة المشوار: 19.

-ك-

كرمونا: 47.

الكعبة المنورة:58.

-ل-

لشبونة: 27-29-31-36-47.

لوخوس:30.

-م-

مازكان:10.

مراكش: 9-11-13-26-28-30-34-56.

المرسى الكبير: 16-22.

مدغرة: 47.

مصر: 51.

المغرب الأقصى:
8-9-11-12-14-15-16-35-42-45.

مكناسة: 14.

المشرق العربي: 58.

موكادور:10.

-و-

وادي المخازن: 30-36-45-58.

وهران: 15-16-22-53.

وادي دون: 23.

وادي الريحان: 26.

-ي-

ينبع:12.

اليونان: .27

3-فهرس الأسر والشعوب والقبائل:

-أ-

الأتراك:
42-43-45-46-49-50-52-54-57.

بنو الأحمر: 21.

الأعراب: 17.

الأسبان-الأسبانيون:
15-16-17-18-19-21-22.

أسرة المنصور:9.

الإنجليز: 28-46.

الأندلسيون: 22-34-36.

الإيبيريون:9.

-ب-

البرتغاليون:
8-10-12-13-28-33-37-45-50-52.

-ج-

الجزائريون: 16-34-41.

-ذ-

الذواودة: 15.

-ر-

بنو راشد: 8-12.

-ز-

الزيانيون: 15.

-س-

السعديون:
12-13-14-28-39-43-44-49-50-51
-52-58.

بنو سعد بن بكر بن هوازن: 12.

-ك-

كوكو: 15.

-ع-

بني عامر: 15.

بنو عباس: 15.

العروسي:8.

العثمانيون:
14-19-34-42-44-50-54-55.

-ف-

الفاسيون: 14-32.

-م-

مسلمو الأندلس: 16-20-22-52.

المسلمون: 20-21-30-34-36-43-55.

المسيحيون:57.

المغاربة: 12-22-35-37-52.

-ن-

النصارى: 31-41.

-هـ-

هنتاتة: 9.

-و-

الوطاسيون: 8-12-13-38-39-42-48.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
الشكر	
قائمة المختصرات	
مقدمة:..	1
الفصل الأول:الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى،إسبانيا و الجزائر قبل 1578م	
المبحث الأول:الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى:..........	8
المبحث الثاني:الأوضاع السياسية للجزائر:..................	15
المبحث الثالث:الأوضاع السياسية لإسبانيا:.................	20
الفصل الثاني:معركة وادي المخازن و أبعادها الدولية	
المبحث الأول: الأسباب:..	26
المبحث الثاني:المجريات:......................................	29
المبحث الثالث: النتائج:..	35
الفصل الثالث:علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا في عهد أحمد المنصور السعدي	
المبحث الأول:نظرة عن العلاقات السياسية للمغرب مع إسبانيا قبل 1578م:...........	39
المبحث الثاني:علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا في عهد أحمد المنصور السعدي	43
الفصل الرابع: علاقات المغرب الأقصى السياسية مع الجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي	
المبحث الأول:نظرة عن العلاقات السياسية للمغرب مع الجزائر قبل 1578م:...........	49
المبحث الثاني:علاقات المغرب الأقصى السياسية مع الجزائر في عهد أحمد المنصور السعدي	53
الخاتمة:..	61
الملاحق:..	64
قائمة المصادر والمراجع:..	72
الفهارس:...	82